



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
عمادة الدراسات العليا

الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي من خلال

كتاب (فتحنامه سند) للكوفي

(دراسة تاريخية مقارنة)

إعداد الباحث: فلاح بن علي الشمري

(قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص التاريخ
الإسلامي - قسم الدراسات الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة الملك فيصل)

إشراف: أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد

١٤٣٧هـ / ٢٠١٥ م

الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي من خلال كتاب فتحنامه

سند للكوفي (دراسة تاريخية مقارنة)

إشراف : أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ / / ١٤٣٧ هـ الموافق / / ٢٠١٥ م. وتم إجازتها.

أعضاء لجنة التحكيم

م	العضو	صفته	التوقيع
١	أ.د. محمد نصر عبد الرحمن جاد	مشرفاً ومقرراً	
٢	أ. د محمد بن ناصر بن أحمد الملحم	ممتحناً خارجياً	
٣	أ. د حاتم عبد الرحمن الطحاوي	ممتحناً داخلياً	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّهِ رَبُّكَ
وَقُلْ رَبُّكَ رَبُّكَ
وَقُلْ رَبُّكَ رَبُّكَ
وَقُلْ رَبُّكَ رَبُّكَ

ملخص الرسالة

يعد الوجود الإسلامي في السند واحداً من أهم موضوعات التاريخ الإسلامي ، نظراً لأنه كان مقدمة لوجود إسلامي طويل الأمد في هذه المنطقة ، وفتحة لتوسع المسلمين بعدها جنوباً متعمقين في الهند. لذلك حظى فتح السند باهتمام كثير من المؤرخين المسلمين ، الذين أفردوا له بعض أجزاء من كتبهم ، خاصة كتب الفتوح الإسلامية.

وينصب اهتمام هذه الأطروحة على دراسة واحد من أهم المصادر الإسلامية الخاصة بفتح السند ، وهو كتاب " فتحنامه سند " ، والذي خصصه مؤلفه (الكوفي) للحديث عن فتح السند خلال العصر الأموي. حيث نحاول أن نحلل منهجياً هذا المصدر من حيث محتواه ، ومصادره ، ومنهجه ، وأخيراً مقارنة الروايات الواردة به بالروايات الخاصة بفتح السند في المصادر الإسلامية الأخرى.

وستحاول الدراسة أن تتباعد عن الشكل التقليدي في دراسة فتح السند بالتركيز على تحليل المصدر نفسه ونقده نقداً موضوعياً باعتباره من أكثر المصادر المتاحة لدينا التي تعرضت لفتح السند بكثير من التفصيل الذي لم يتاح لأي مصدر آخر ، حتى من كتب الفتوح الشهيرة كالبلادي وغيره.

ومن خلال الاعتماد على أهم المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع ، يأمل
الباحث أن يقدم للمكتبة العربية دراسة تحليلية منهجية جديدة ، لواحد من أهم
المصادر التاريخية المتعلقة بوحدة من أهم المناطق في العالم الإسلامي.



English Abstract

Islamic presence in Sind is one of the main themes of Islamic History, since it was an introduction to the long Islamic presence in this region, and the beginning of the Islamic expansion in south India. So many historians have interest in the conquest of Sind, and they allocated some parts of their books for it, especially books of conquests.

The focus of this thesis on the study of one of the most important Islamic sources, The book " Fathnamh " for Kufi," which allocated to talk about the conquest of Sind during the Umayyad period. Where we are trying to systematically analyze this source in terms of its content, and its sources, method, and finally compared the novels contained by the novels of conquest of Sind in the other Islamic sources.

Researcher will try to avoid the traditional form in the study of conquest of Sind, focusing on the analysis of the source itself and criticism objectively as one of the most available sources we have, which reported conquest of Sind with much detail, which did not found in any other source, even Al-Balazury and Ibn A'tham and others.

In addition to the analysis of this source we will try to put a geographical background of the study area, as well as it's history before the study period, in terms of being analytical historical study.

Researcher hopes to submit to the Arabic library a new analytical methodology study for one of the most important historical sources relating to one of the most important areas in the Islamic world by relying on the most important sources and references on the subject

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ-ب	الملخص العربي
ج	الملخص الإنجليزي
د	فهرس المحتويات
٨-١	المقدمة
٤٥-٩	الفصل الأول
٩١-٤٦	الفصل الثاني
١٢٢-٩٢	الفصل الثالث
١٢٧-١٢٣	الخاتمة
١٣٠-١٢٨	الخرائط
١٤٠-١٣١	المصادر والمراجع

المقدمة

يقول ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية): " كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ، ليس لهم شغل الا ذلك ، وقد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله " انتهى كلامه - رحمه الله .

شهد العصر الأموي فتوحات كثيرة في أقاليم عديدة ، ويسند الفضل - بعد الله عز وجل - الى الخلفاء الأمويين في نشر الإسلام في أرجاء المعمورة ، ومن تلك الأقاليم التي انتشر فيها الإسلام في عهد الدولة الأموية ، إقليم السند والذي يمثل الوجود الإسلامي فيه موضوعاً بالغ الأهمية ؛ وذلك بسبب الحقبة الزمنية الطويلة للوجود الإسلامي في ذلك الإقليم.

وقد اهتم المؤرخون بالتأريخ لفتح السند ، وخصصوا له أجزاءً من كتبهم ، خاصة كتب الفتوح مثل: كتاب البلاذري (فتوح البلدان) ، وكتاب الكوفي (فتحنامه سند) ، الذي يعد من أهم المصادر التاريخية التي تناولت فتح السند خلال العصر الأموي ، والتي حوت تفاصيل دقيقة عن الفتح لم يذكرها مؤلف غيره.

وسوف يتناول الباحث - بإذن الله - في دراسته مراحل فتح السند من خلال الكتاب الأخير مقارنة مع باقي المصادر الأخرى ، ثم يسلط الضوء على هذا المصدر، محلاً لإياه تحليلاً منهجياً ، من حيث مصادره ومنهجه واسلوبه ، ومن حيث ما احتوى

عليه من روايات وقصص ، ومن ثم مقارنة تلك الروايات التي أوردتها بغيرها من الروايات الخاصة بالفتح الإسلامي للسند في المصادر التاريخية الأخرى .

ويرجع اهتمام الباحث بهذا المصدر؛ لأنه من أكثر المصادر التاريخية المتاحة لدينا التي تعرضت لفتح السند بالكثير من التفاصيل الدقيقة ، والتي لم تتاح لأي مصدر آخر ، حتى من كتب الفتوح الشهيرة كالبلاذري وابن أعثم وغيرها .

أما بالنسبة للدراسات السابقة حول هذا الموضوع فهي قليلة ، واغلبها يركز على الفتح نفسه ، وتفقد المكتبة العربية لدراسات مهمة لكتاب الكوفي ومنهجه ، وفي هذا المجال هناك دراستان تقتربان من مجال هذا البحث وهما:

الدراسة الأولى : قام بإعدادها الباحث التوم الطالب محمد بعنوان (فتح إقليم السند) وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، وهي منشورة بمجلة (المؤرخ المصري ١٩٨٩م) وهي دراسة عامة تتناول محاولات فتح السند وانتشار الإسلام فيه بعد ذلك ، ووجه الشبه والاتفاق بين هذه الرسالة وبحثنا هو فتح السند ودخول الإسلام الى ذلك الإقليم ، لكن هذه الدراسة لم تعتمد على كتاب الكوفي ، لذلك نجدها قد خلت من الكثير من التفاصيل والتي تميز بها كتاب (فتحنامه سند) ، وكذلك تختلف عن بحثنا من الناحية المنهجية والتفصيلية .

الدراسة الثانية: والتي قام بها وأعدّها الدكتور: سعد الغامدي بعنوان (الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند) وهي منشورة بحوليات كلية الآداب - جامعة الكويت - ١٩٨٨م. ورغم أن هذه الدراسة اعتمدت على كتاب الكوفي بشكل عام من خلال الترجمة الإنجليزية لكتاب (فتحنامه سند) للمستشرق الإنجليزي إليوت ، إلا أنها لم تكن دراسة شاملة لكل وقائع الفتح ، ولم تتعرض بالطبع للناحية المنهجية لكتاب الكوفي ، أو المقارنة بين ما ذكره الكوفي ، وما جاء بالمصادر الأخرى.

وسوف يقوم الباحث بتقسيم الدراسة الى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، تتبعها قائمة بالمصادر والمراجع.

ويتناول الفصل الأول ، جغرافية بلاد السند وأهم مدنها ، حتى تكون عوناً في فهم أحداث الحملات وطرقها ومواقعها. كما يشتمل الفصل على محاولات فتح بلاد السند قبيل العصر الأموي ، أي تلك المحاولات التي كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، والخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ، والخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . كذلك معرفة أحوال بلاد السند من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية وذلك قبل أن يصلها الفتح الإسلامي .

ويتناول الفصل الثالث فيه عملية فتح إقليم السند ذاتها ، وذلك من خلال ما ورد في كتاب (فتحنامه سند) والمصادر التاريخية الأخرى ، حيث يستعرض الحملات

الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، والحملات الأموية لفتح السند في عهد الحجاج ، مع بيان الحملة الرئيسية على السند خلال هذه العصر ، وهى الحملة التي قام بها القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي ، وعرض أسبابها والتجهيز لها ، ووقائع تلك الحملة ونتائجها وما ترتب عليها.

ويشتمل الفصل الثالث على نافذة تاريخية تعريفية بالمؤلف نفسه (الكوفي) ، من خلال بيان حياته وأعماله ، وتسليط الضوء على منهج الكوفي التاريخي في كتابه وأسلوبه ، مع ذكر مصادره التي اعتمد عليها في نقل الروايات والأخبار والأحداث .

وقد اعتمد الباحث في دراسته - بعد الاعتماد على الله عز وجل - على بعض المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة لفترة الدراسة ، بالإضافة الى الاستعانة بالدراسات الحديثة والاستفادة منها ، من أجل عمل دراسة تاريخية مميزة خاصة بكتاب (فتحنامه سند) ، وكذلك الفتح الإسلامي للسند في العصر الأموي. ومن هذه المصادر على سبيل المثال:

كتاب " فتوح البلدان " للبلاذري (ت. ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)^١، وهو من أهم كتب الفتوح الإسلامية ، وقد حوى جزء كبير عن الفتح المبكر للسند ، وتاريخ المسلمين هناك . وقدم للدراسة مادة قيمة خاصة بوقائع فتح السند ، والعلاقة بين الفاتحين

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٢٣ .

العرب والسكان المحليين ، وكذلك انتشار الإسلام فى الهند . وقد اتسم منهج البلاذرى بالتقليدية التي كانت هى السمة الغالبة على كتاباته ، ويظهر ذلك فى اهتمامه بأسماء الأشخاص الذين قادوا الحملات الإسلامية على السند ، وبعض الملاحظات الخاصة بهم ، على حساب تفاصيل تلك الحملات ؛ كذلك لم يهتم بتفاصيل التطور المبكر للإسلام فى الهند . بجانب ذلك إهماله فى التحقق من أسماء الملوك الهنود فى رواياته ، برغم أن تلك الصفة تلتصق بمعظم المؤرخين الذين تعرضوا للحديث عن الهند . مما أدى لتضارب تلك الروايات مع الروايات الهندية.

زد على ذلك كتاب اليعقوبى (ت. ٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) " تاريخ اليعقوبى " ^١ ، الذى قدم لنا بعض التفاصيل عن فتح السند فى الفترة المبكرة ، وكذلك فى العصر الأموي ، ورغم أهمية المادة التى يقدمها لكنه - مثل باقى المصادر الأخرى - كان شديد الاختصار فى التفاصيل فى الفترة السابقة للعصر العباسي.

وكذلك كتاب الطبرى (ت. ٣١٠هـ / ٩٢٣ م) " تاريخ الأمم والملوك " ^٢ ، وهو من رواد المدرسة التاريخية الحولية ، التى تؤرخ للأحداث بحساب السنين. ورغم أهميته لدارس التاريخ الإسلامى ، فإن المادة التى قدمها عن السند وعلاقة المسلمين بها لا تعدو أن تكون مجرد شذرات ، كانت محصورة فى مناسبات معينة ، مثل

(١) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، بغداد ١٣٥٨هـ.

(٢) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٩٧٧.

إشاراتة المقتضبة للحملات الإسلامية على السند ، وأسماء من تولى ولايتها ، دون أن يقدم تفصيلات لتلك الأحداث.

وهناك كتاب ابن خياط (ت. ٢٤٠ هـ / ٨٥٥ م) " تاريخ ابن خياط " ، وهو من المدرسة التاريخية الحولية أيضاً ، وقد تضمن كتابه بعض الأخبار عن الحملات الأموية على السند. ورغم أنه كان دقيقاً - إلى حد ما - في تحديد تاريخ كل حملة ، إلا أنه يعيبه ميله أحياناً للاقتضاب الذي يصل إلى حد الغموض.

بجانب ذلك ، اعتمد الباحث على عدد كبير من المراجع الحديثة ، العربية والأجنبية ، والتي أفادت الدراسة في النواحي النقاشية ، والآراء المتعلقة بالدراسة ، والتي أثرت - بلا شك - نواحي الدراسة ، وأكملت جوانب النقص فيها.

ويتطلع الباحث في هذه الدراسة الى توثيق جهود المسلمين وعملهم الدؤوب في فتح هذا الإقليم ونشر الإسلام هناك ، من خلال تناول مصدر من أهم المصادر التاريخية لتلك الحقبة الزمنية ، ولذلك الوجود الإسلامي هناك بطريقة منهجية ودراسة مقارنة. وكذلك الرغبة في تزويد المكتبة العربية وإثرائها بمثل هذه الدراسات المنهجية النقدية بعيداً عن محاكاة الدراسات السابقة التقليدية في التاريخ الإسلامي .

وقد واجهتني في هذه الدراسة بعض المشكلات ؛ لعل من أبرزها تكرار الأحداث في أغلب المصادر التاريخية وكأنها كتبت من شخص واحد أو من مصدر واحد ، كذلك قلة الدراسات التي تقوم على أساس النقد والتحليل للمصادر التي تتحدث عن فتح السند .

ولا يسعني في هذا المقام الا أن أتوجه بالشكر لله - عز وجل - أولاً ، ثم لجامعة الملك فيصل وكلية الآداب تحديداً ، على إتاحة الفرصة لي لتنوير نفسي وخدمة مجتمعي وبلادي بشكل أفضل ، والشكر موصول لأساتذتي أعضاء هيئة التدريس في قسم الدراسات الاجتماعية شعبة التاريخ ، على جهودهم ونصائحهم وتوجيهاتهم الكريمة ، سائلاً الله لهم التوفيق والسداد .

وشكري الخاص لأستاذي الفاضل (الدكتور محمد نصر عبد الرحمن) ، والذي كان له الفضل الكبير في إنجازي لهذا العمل ، فلم يبخل علي بإرشاداته وتوجيهاته الفعالة ، فله مني خالص الشكر وجزاه الله عني خير الجزاء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

جغرافية بلاد السند ومحاولات فتحها قبيل

العصر الأموي

أولاً- جغرافية بلاد السند

ثانياً- أحوال السند قبل الفتح الإسلامي

ثالثاً- محاولات فتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين:

أ- في عهد عمر بن الخطاب

ب- في عهد عثمان بن عفان

ج- في عهد علي بن أبي طالب

أولاً: الإطار الجغرافي للسند :-

تغطي هذه الدراسة من الناحية الجغرافية ، ما أطلق عليه الجغرافيون المسلمون الأوائل مسمى السند (والمقصود به منطقتي السند والبنجاب^١ اللتان تقعان حالياً في باكستان) ، وأجزاء من الهند. فالسند والبنجاب هما المجال الجغرافي الذي استطاع المسلمون فتحه ، وتحويله لولاية إسلامية خلال العصر الأموي، والهند هي المجال الحيوي الذي جاور هذه الولاية ، وكان له أيضاً نصيب من حملات المسلمين التي استهدفت فتح أجزاء منه.

وتقع السند في الركن الشمالي الغربي من الهند ، وطبقاً للتقسيم الجغرافي للعالم الذي وضعه الجغرافيون المسلمون الأوائل^٢، فإنها كانت تقع ضمن نطاق الإقليم الثاني^٣. وكان يحدها من الشرق والجنوب الهند وبحر العرب^٤، ومن الغرب

(١) هي كلمة فارسية مكونة من مقطعين پنج: بمعنى خمسة ، وآب: بمعنى مياه ، والمعنى العام:

الأنهار الخمسة ، ويقصد بها أنهار السند الصغيرة التي كانت تصب في نهر السند الكبير.

انظر: عبد الحى الحسنى الندوى ، الهند في العهد الإسلامي ، الدكن ١٩٧٢ ، ص ٦٣.

(٢) قسم الجغرافيون المسلمون العالم في هذا الوقت إلى سبعة أقاليم ، أنظر على سبيل المثال:

الزهرى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق: محمد حاج صادق ، القاهرة (ب.ت) ، ص ٥.

(٣) انظر: الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص ١٧٦.

(٤) هو جزء من المحيط الهندي يقع بين سواحل شبه الجزيرة العربية وشبه الجزيرة الهندية.

مكران^١، ومن الشمال كشمير^٢ وكابل^٣. هذا بالنسبة لموقعها الجغرافي ، أما عن موقعها الفلكي خلال تلك الفترة ؛ فكان ينحصر بين خطي طول (٦٠-٧٥) شرقاً ، ودائرتي عرض (٣٠-٣٥) شمالاً^٤.

وتتميز الطبيعة الجغرافية للسند بالتنوع ، فهي تشمل السهول والوديان ، بجانب المناطق الصحراوية التي تغطي مناطق واسعة منها^٥. ومن أهم المظاهر الجغرافية بالسند نهر (السند)^٦ ، الذي ينبع من جبالها الشمالية ، ثم يمتد عبر ربوعها ليصب في بحر العرب ، وقد لعب هذا النهر دوراً بارزاً في تشكيل الملامح

(١) مكران: كانت تقع في الشمال الغربي للسند ، وتقع الآن جنوب شرق إيران وغرب باكستان.

انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، بيروت (ب.ت) ، ص ١٧٩.

(٢) كشمير: وكانت تسمى قشمير وهي ناحية متاخمة للسند ، وهي ولاية كشمير الحالية. انظر:

القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت (ب.ت) ، ص ١٠٤.

(٣) كابل: كانت ولاية كبيرة بين الهند و غزنة ، وتقع الآن في أفغانستان ، انظر: ياقوت الحموي،

المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٦.

(٤) حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١١٨.

(5) Spate, O., India and Pakistan, a general and regional geography, (London, 1954), p.594.

(٦) ويسمى أيضاً نهر مهران أو الاندوس ، وإليه نسبت السند ، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر:

القزويني، آثار البلاد ، ص ١٢٥ ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الإسلامية ، ت. بشير فرنسيس ،

تحقيق: كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ ، ص ٣٦٩.

الاقتصادية والديموغرافية للسند ، حيث انتشرت حول هذا النهر وروافده معظم المدن السندية. ورغم أن السند تتمتع في الجنوب الغربي منها بمسطح بحري كبير نسبياً ؛ وهو بحر العرب ، إلا أن قلة التعاريج على هذا الساحل أدت إلى قلة الموانئ فيه ، فلم يبرز للسند خلال تلك الفترة سوى ميناء كبير واحد هو ميناء ديبول Daybul^١.

أما عن مناخ السند فيغلب عليه طابع الحر الشديد ، وذلك لاقتربها من خط الاستواء ، وقد انعكس ذلك على طبيعة بعض سكانها ، فتميزت بشرتهم بالسمر الداكنة^٢ حتى أطلق عليهم في بعض الأحيان لقب الزنوج^٣، وربما كان ذلك أحد الأسباب الرئيسية في قلة الموانئ والمدن الساحلية فيها. وقد كان استقرار السكان في المناطق الساحلية ؛ راجع في المقام الأول لأسباب اقتصادية ، نتيجة استفادتهم من عمليات التبادل التجاري التي تتم عبر ميناء ديبول^٤.

(١) من أهم موانئ السند ، وهي مشتقة من الكلمة السنسكريتية Delvalaia وتعني مقام الآلهة

وتقع الآن بالقرب من مدينة كراتشي وتعرف أطلالها باسم بانجهور ولمزيد عنها انظر:

الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٦٧ ؛ إبراهيم البلوشي، ميناء ديبول عند الفتح

الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث ، ١٩٩٧، ص ١١١ - ١٢٩ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ ، ص ٤٧٩ .

(٣) فايزة اسماعيل أكبر ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي ، مجلة العصور ، المجلد الثامن ،

١٩٩٣ ، ص ١٢٨ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٩ ، ص ٣٢٣ .

وقد تنوعت مدن السند وفقاً لتنوع جغرافيتها ، فكان منها المدن السهلية والساحلية ، وكذلك الصحراوية ، ومن أهم هذه المدن: مدينة الرور Lurs: وهى مدينة عظيمة تقع على نهر السند ، واتخذتها الأسر التي حكمت السند عاصمة للمملكة^١. ومدينة برهمناباد Bramanabad^٢: وكانت مدينة عظيمة أقيمت على فرع من فروع نهر السند ، وكان يسكنها غالبية البراهمة بالسند ، وقد أقام العرب بجوارها بعد الفتح مدينة جديدة أطلقوا عليها اسم المنصورة^٣.

وهناك أيضاً مدينة ملتان Multan^٤: التي كانت تعتبر مدينة مقدسة ؛ نظراً لوجود المعبد الرئيسى للإله بوذا بها ، فكانت قبلة لأغلب سكان السند الذين يدينون بالبوذية ، كما كانت تعد من أغنى مدن السند ؛ بسبب النذور والهدايا التي كان

(١) وتقع الآن جنوب شرق حيدر آباد ، ولمزيد عنها انظر: ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) ويعنى أسمها مدينة البراهمة ، وتقع الآن شمال شرق حيدر آباد ولمزيد عنها انظر: Haig, N., “ On sites of Bramanabad and Mansura in Sind “ , *Journal of Royal Asiatic Society*, xvi (1886),pp.281-29.

(٣) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٠٢.

(٤) وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة السنسكريتية Maliathan والتي تعنى موضع قبيلة مالى ، تلك القبيلة القوية التي كانت تقطن المنطقة زمن الاسكندر المقدونى ، وتقع حالياً غرب باكستان. ولمزيد عنها انظر: القزوينى ، آثار البلاد ، ص ١٢١ - ١٢٣.

يقدمها هؤلاء الحجيج إلى معبدها المقدس. بجانب مدينة نيرون Niron^١ ، وهي مدينة حصينة تشتهر بقلعتها التي تحمل اسمها. بجانب بعض المدن الساحلية الصغيرة مثل: تانه Thana^٢ وبروص Barous^٣. وبجانب ذلك كانت هناك بعض المدن الصحراوية خاصة في ناحية مكران مثل: قنديل وقصدار^٤.

وحيث أن قسماً كبيراً من السند يمتد جغرافياً إلى الداخل ، ومع قلة الخلجان العميقة ومصببات الأنهار التي تفتح بها المساحات الداخلية ، فإن معظم سكانها

(١) وتسمى أيضاً نيرون كوت ، وتقع الآن بالقرب من حيدر آباد ولمزيد عنها انظر ، الادريسي، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٦٨.

(٢) هي مدينة ساحلية كبيرة ، وهي الآن عاصمة إحدى محافظات ولاية مهاشتر الجديدة ، وتقع بالقرب من مدينة بومباي ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: الادريسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ سيد رضوان علي ، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، مجلة العصور ، المجلد الثاني، الرياض ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٩.

(٣) وتسمى أيضاً بروج ، وهي الآن إحدى مديريات إقليم كجرات ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٤٠٤.

(٤) هما كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مجاورتين للهند ، وتقعان حالياً بالقرب من مدينة كلات في الجنوب الشرقي لإيران. انظر: القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٠٤ ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧٨ ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٧٠.

وانظر الخريطة التفصيلية التي وضعها الباحث في ملاحق الدراسة.

ارتبطوا بالبر ، ولم تلعب البحرية دوراً هاماً في تاريخها. كما ساهمت الطبيعة الجغرافية في عزل السند نوعاً ما عن باقي مناطق الهند ، مما سيؤثر فيما بعد على تقدم الفتوحات الإسلامية فيها نحو الجنوب ، فقد مثلت سلسلة جبال ونديا Vindia حاجزاً بين السند والهند ، بجانب صحراء راجبوتانا التي تمتعت بأهمية استراتيجية وعسكرية منعت أى تقدم عسكري من ناحيتها ، وكذلك صحراء كچه Cutch الممتدة في الجنوب الشرقي للسند^١، وشكلت تلك التضاريس الجغرافية بوجه عام خط تحصين، منع تقدم أى محاولات لفتح الهند عبر السند ، خلال تلك الفترة المبكرة على الأقل.

وبوجه عام لعبت جغرافية السند دوراً هاماً في تاريخها من ناحية ، وفي علاقة المسلمين بها أثناء فتحها والفترة التي تلت الفتح من ناحية أخرى ، فالطبيعة الجغرافية الوعرة لتضاريس السند - خاصة في الجنوب - أبقت على التواجد الإسلامي فيها دون التغلغل في باقي أجزاء الهند ، كما أدت العزلة الداخلية لأجزاء الهند ؛ إلى عزلة سياسية في المقابل ، فلم توجد قوة سياسية موحدة قادرة على التصدي للفتح الإسلامي ، أو تحاول طرد المسلمين من السند بعد فتحها.

(١) سميث ، الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد السابع ، مارس - يونيو ١٩٥٦ ، ص ١٢٢-١٢٤.

ثانياً: أحوال السند قبل الفتح الإسلامي :-

كانت السند تخضع لحكم أسرة سهاسي راي (Sehasi Rai) ، التي فرضت سيطرتها على أنحاء هذه المملكة حتى مقدم الحملات الإسلامية عليها ، ومن أشهر ملوكها ملك يدعى سيهرس (Sihars) ، استطاع أن يحفظ استقلال المملكة ضد أطماع الإمبراطورية الفارسية ، ونجح في مد نفوذه من كشمير شرقاً حتى مكران غرباً ، ومن جبال بلوش شمالاً حتى بحر العرب جنوباً ، وقد اشتهر بالعدل والسخاء والكرم ، وقد اتخذ هذا الملك من اللامركزية أسلوباً لحكمه ، فقسم مملكته لأربع أقسام، وجعل على كل قسم منها ملكاً كنائب له في إدارة شئونها ، بعد أن أمده بما يحتاجه من أسلحة وعتاد للحفاظ على استقرار المملكة^١.

نجح هذا النظام في بسط سيطرة سيهرس على مملكته ، فنعم بالهدوء لفترة من الزمن قبل أن تتجدد أطماع الإمبراطورية الفارسية في أملاكه ، حيث أرسل الإمبراطور الفارسي جيشاً كبيراً هاجم الأطراف الشمالية الغربية للسند ، فسارع سيهرس على الفور بالتحرك بنفسه على رأس جيش كبير لمواجهة الجيش الفارسي ، وقد أبدى مقاومة كبيرة في مواجهة الجيش الفارسي ، لكنه سرعان ما لقي مصرعه أثناء هذه المعركة وانهزم جيشه. وبرغم هذه الهزيمة إلا أن الجيش الفارسي سرعان

(١) الكوفي ، فتحنامه سند ، ت. بلوش ، دمشق ١٩٩١ ، ص ٣٧-٣٩.

ما ترك السند وعاود أدراجة ، وسمح هذا لابن سيهرس بأن يرتقى عرش المملكة ، فخلف أبيه في حكمها باسم الملك سهاسي الثاني (Sehasi II) . وقد حافظ الملك الجديد على النظام اللامركزي الذي سار عليه سلفه ، ونجح في بسط سيطرته على أنحاء المملكة من جديد^١.

ثم التحق بخدمة هذا الملك أحد رجال مملكته ويدعى چچ (Chach) ، وجد في عمله حتى أصبح حاجب الملك ، ثم تطورت الأمور وأغرمت زوجة الملك وتدعى رانى سونهنديو (Sonhandew) به ، ورغم تمنع چچ في البداية احتراماً لمولاه إلا أنه سرعان ما رضخ للملكة الشابة ، ونجحت في مساعدته في التحكم في شئون المملكة^٢.

وبعد وفاة سهاسي اعتلى چچ العرش وتزوج الملكة الأرملة ، بعد أن ساعدته في التغلب على معارضييه عن طريق الحيلة ، فقد كانت تخشى على العرش لأنها لم تنجب وريثاً له من زوجها الملك ، لذلك أخفت خبر وفاة سهاسي عن الرعية ، وحبست الأطباء في قصرها حتى لا ينشروا خبر وفاة الملك ، ثم قبضت على أقربائه الأثرياء ، وألقت بهم في السجن ، ثم دعت أقاربه من الفقراء وأغرمت كل واحد منهم بقتل أحد هؤلاء الأثرياء ، والحصول على ثروته فاستجابوا لها ، وبذلك تخلصت من

(1) Lari, Z., A history of Sindh, (Oxford, 1994), p.19.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٤٣-٤٤ .

أقرباء زوجها من ذوي النفوذ الذين قد ينافسون چچ على عرش المملكة. ثم اتجهت بعد ذلك لكبار رجال الدولة واحتالت عليهم ، حيث أخبرتهم أن زوجها الملك قد أوصى بتولى چچ للحكم ؛ نظراً لضعف صحته وعدم قدرته على تولى أعباء الحكم ، وحصلت بالفعل على مبايعتهم له ، وقامت بتتويجه على عرش المملكة^١.

وبعد مراسم التتويج تزوج چچ من الملكة الأرملة واستتبت له الأمور ، لكن الملك الجديد كان مكروهاً من الشعب ؛ خاصة أنه كان برهمي (هندوسي) في الوقت الذي كان فيه معظم سكان السند من البوذيين ، لذلك حكم مملكته بقبضة حديدية ، وفرض حكمه على المملكة حتى في ظل هذه المعارضة. وظل يحكم قرابة ست وأربعين سنة (١-٤٦هـ) ، وشهد عهده بداية الحملات الإسلامية على السند^٢.

أما عن أحوال المجتمع في السند قبل الفتح الإسلامي لها ، فمن المعروف أن سكان السند الأصليين جاءوا إليها من خلال هجرات تورانية من أجناس حامية ، استوطنت هذه المنطقة من آلاف السنين ، ومن أشهر عناصرها عنصرى الميد^٣

(1) Lari, Z., A history of Sindh, p.20.

(2) Mahajan, D., Muslim Rule in India, (New Delhi, 1970), p.25.

(٣) هو لفظ عربى يعنى دوار البحر الشديد ، وأطلقه العرب على هؤلاء القوم لأنهم يمتنون

القرصنة في البحار. انظر: المباركبوري ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ت. عبد العزيز

عبد الجليل ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص٥٨-٥٩.

والزط^١، وكان الميد يعملون في البحر على السفن الصغيرة ، بينما كان الزط يشتغلون بالرعي^٢.

ثم توافدت على السند عام ١٥٠٠ ق.م بعض هجرات شمالية من العناصر الآرية البيضاء من موطنها الأصلي في شرق أوربا ، ونجحت في الاستقرار في السند، وسيطرت بشكل كبير على أمور الحكم في هذه المنطقة ، بعد ان أخضعوا باقى العناصر لسلطتهم^٣.

وقد عانى المجتمع في السند من وجود نظام طبقي بالغ الصرامة ، كان يتم تطبيقه وفق الشرائع الدينية الهندوسية ، وقد حرص هذا النظام على إعطاء الأفضلية للجنس الآرى الأبيض على حساب سكان السند الأصليين ، وذلك من خلال نظام هرمي قسم المجتمع إلى طبقات متفاوتة ، وكان البراهمة^٤، وهم طبقة من الكهنة

(١) الزط بضم الزاي وتشديد الطاء هو تعريب للكلمة الفارسية جت Jat أو Jets وهم الزوج

الهنود ، انظر: فايذة اسماعيل أكبر ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامى ، ص ١٢٨.

(٢) فايذة اسماعيل ، المرجع نفسه ، ص ١٣٠.

(٣) الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٨.

(٤) كانت كلمة براهما أو برهمن تطلق في البداية على العبادة أو الصلاة في المعتقد الهندوسى ،

ثم أصبحت تطلق بعد ذلك على الكهنة الهندوس أنفسهم. انظر: محمد اسماعيل الندوى ،

الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٨٩.

ورجال الدين الهندوسي الذين يقومون على أداء طقوسه ، على رأس الهرم الاجتماعي. ويليهم طبقة الجند أو الأكشترية (المقاتلة من النبلاء) ، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب الإله (براهما) وهم الحماة والغزاة ، ومرتبته دون البراهمة. ويليهم في الترتيب الطبقة الويشية (المزارعين والتجار) ، وهم مخلوقون من ركبتي الإله ، والفارق بينهم وبين الطبقتين السابقتين كبير جداً ، ويقبع في ذيل هذا الهرم طبقة الشودرا (المنبوذين) ، وهم خلقوا من قدم الإله براهما ، وهم سفلة الناس الذين ليس لهم مهنة فلم يعترف لهم بعمل غير خدمة الآخرين^١.

وقد رسمت هذه الشرائع لكل طائفة من الطوائف حدود لا تتعدها ، فالبرهمي هو المعلم والكاهن والقاضي والوزير الأكبر ، الذي لا يقضى الملك في أى شأن بدون رأيه ، أما الأكشترى - وكان الملك من بين الأكشترية - فعليه أن يتعلم ويقدم القرابين ويتصدق ، ويحمل السلاح دفاعاً عن الوطن ، وأما الويشي فعليه أن يتاجر ويجمع المال ، وينفق على رجال الدين وأهل العلم ، وأما الشودري فعليه أن يخدم هذه الطوائف الثلاثة الشريفة. وبذلك أطلقت تلك الشرائع أيدي البراهمة من كل قيد

(١) البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مردولة ، تحقيق: ساخو ، فرانكفورت

١٩٩٣ ، ص ٤٩ ؛ جوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ت. عادل زعيتير ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،

وجعلت لهم زعامة الناس جميعاً ، فالبرهمي لا يندس بذنب حتى لو قتل أهل الكون جميعاً ، فهم وما يملكون ملك يمينه^١.

ووفق هذه القوانين واللوائح فرض على كل طائفة أن تعيش في إطار جماعتها وتكون مجتمعاً منفصلاً فيما بينها ، بحيث يتم التزاوج والتناسل والحفلات في نفس الإطار الطبقي. وقد طبقت هذه القوانين حرفياً بحيث لم يكن في مقدور أحد أن يأكل أو يشرب لدى طائفة أخرى ، كذلك خصص لكل منها طقوس ومراسيم وتقاليد وأماكن عبادة خاصة بها^٢.

ووفق الشرائع السابقة كان البراهمة والأكشترية هما عماد المجتمع ، ومن الأكشترية كان ينصب الملك ، لكن كان للبراهمة امتيازات خاصة جعلت نفوذهم يفوق نفوذ الملوك أنفسهم ، حيث كان الملك لا يقطع أمراً دون مشورتهم ، ويحرص على تلبية مطالبهم كاملة^٣. وأدت تلك الامتيازات إلى تبرم الطبقات الأخرى خاصة من الزط، الذين طبقت عليهم قوانين صارمة قضت ألا يملكوا أى شئ فيما عدا الكلاب والحمير ، وأن يرتدوا ملابس الموتى ، وأن يستخدموا الأوعية المكسرة كآنية ، وأن يستخدموا الحلوى من الحديد الذى علاه الصدأ . كما فرض عليهم أن يركبوا الخيول

(١) الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ص ١٦ .

(٢) محمد اسماعيل الندوى ، الهند القديمة ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن خردزابه ، المسالك والممالك ، ، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ٣٣ .

بدون ركاب وسرج وهم حفاة الأقدام عراة الرؤوس ، وأن تصحبهم الكلاب حين يخرجون من ديارهم وغيرها من الأمور التعسفية^١.

أما عن العقائد والديانات التي سادت في المجتمع السندي ، فقد كانت الهند بوجه عام والسند بوجه خاص ؛ مسرحاً للعديد من العقائد المختلفة ، التي تأرجحت بين عبادة الأوثان ، والنيران ، وقوى الطبيعة ، إلى العقائد الفلسفية الروحية. وكان المعتقدان السائدان في السند عشية الفتح الإسلامي لها هما: البرهمية (الهندوسية) والبوذية^٢.

والبرهمية عقيدة وثنية تقوم من خلال ثلاث آلهة رئيسية ، (براهما) وهو الإله الخالق سيد الآلهة والمسيطر على العالم . والإله (وشنو) الحافظ إله الحب الذي يشفي المرضى. والإله (شيوا) المدمر الموكول بقبض أرواح الناس وخلاصها من أبدانها. وبجانب هذه الآلهة الرئيسية توجد آلاف الآلهة الأخرى^٣.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٦٢ ؛

Brown, J., “ The history of Islam in India “, *Muslim World*, 39 (1949) , p.13 .

(٢) البيروني ، تحقيق ما للهند ، ص ٥٧ ؛ حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية في

أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٣) الساداتى ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٢ .

ولم تكن البرهمية تحظى بشعبية كبيرة بين سكان السند نظراً لطبيعتها العنصرية التي رأينها فيما يخص التقسيم الطبقي ، والفوارق بين الطبقات ، وقد فتح هذا المجال لانتشار عقيدة أخرى وهى البوذية التي صارت هى العقيدة الرئيسية في بلاد السند خلال هذه الفترة.

وتعتبر السند هى موطن البوذية التي ظهرت فيه وانتشرت منه إلى باقى أنحاء العالم ، وتنسب البوذية إلى گاوتما بودا Goatamd Buda ، وكما هو واضح من الاسم فإن اللفظ الأصلي لمؤسس هذه الديانة هو (بودا) بالبدال وليس بالذال. وتتمحور هذه العقيدة حول ٣ أمور : أولها ، الإيمان ببودا كمعلم مستنير للعقيدة البوذية. ثانيها ، الإيمان بتعاليم بوذا التي تسمى (دارما) بمعنى الحقيقة. وثالثها ، المجتمع البوذي نفسه^١.

وقد سخر البوذية من البراهمة سخرية شديدة هزت كيانهم حين أعلنت بأن الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت مسائل تستحق النظر ، وأن القرايين والأدعية والتمايم إن هى إلا من صناعة الكهنوت. كما هاجمت نظام الطبقات ضمناً حين صرحت بأن الناس أشرافهم وأدنيائهم وأغنيائهم كلهم سواء^٢.

(١) أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) الساداتى ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٠.

ولم يقتصر الشقاق على الناحية الطبقية فحسب بل تعداه للناحية العقائدية ، حيث شهدت السند تطاحناً مذهبياً بين البراهمة والبوذيين ، وكان لهذا الصراع بالغ الأثر في تفكك الجبهة السندية وضعفها^١ ، وامتد هذا التدهور للنواحي الاقتصادية ، فمع عدم الاستقرار سادت الفوضى وهجرت الأراضي وأجدبت ، وصارت مناطق السند تعاني من فقر مدقع^٢.

صفوة القول ؛ إن الأوضاع في السند قبل الفتح الإسلامي كانت في صالح المسلمين ، فالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة لطبقات المجتمع ، وكذلك النزاعات الدينية بين سكان السند أحدث شروخاً واضحة في المجتمع هناك وسيكون لها كما سنرى بالغ الأثر على مجريات الأحداث ووقائع الفتح الإسلامي لهذه المناطق.

(١) عن طبيعة الصراع بين هذين العنصرين انظر ، الكريزى ، زين الأخبار ، ت. عفاف زيدان ،

القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٦ ؛

Prasad , I., History of Medieval India, (Allahabad ,1952), pp.30-32 ;

Brown , History of Islam , p13.

(2) Majumdar, C., An advanced history of India, (London, 1950), P.275.

ثالثاً: المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين:-

ارتبط العرب ببلاد الهند بوجه عام والسند بوجه خاص بعلاقات قديمة ، فلم تكن السند بالنسبة لهم عالماً جديداً يتصلون به للمرة الأولى^١، بل سبق هذا الاتصال علاقات قديمة متعددة في كثير من النواحي الاقتصادية والاجتماعية. فعلى الجانب الاقتصادي كانت هناك رحلات تجارية قائمة بين الجانبين للحصول على المنتجات الهندية الشهيرة ، كالتوابل والعطور والسيوف وغيرها من المنتجات الهندية^٢.

ونلاحظ أن العلاقات الاقتصادية للعرب بالهند كانت أقوى من علاقتها بالسند ، وربما كان ذلك راجعاً لقلة موانئ السند من جهة ، فلم يكن هناك طريق تجارى يربط السند بالعرب سوى ميناء ديبل^٣، أو ربما لقلة خبرة أهل السند بالملاحة وعدم ركوبهم البحر بشكل واسع مثل باقى الهنود من جهة أخرى^٤. يضاف لذلك أن وجود تجمعات

(١) لمزيد من التفاصيل عن معلومات العرب عن السند قبل الفتح الإسلامى لها انظر:

Saddiqi, M., " India as known to the ancient Arabs ", *Indo – Asian Culture* , 5 (1957), pp.275 - 281.

(2) Nadvi, S., " The Early Relation between Arabia and India ", *Islamic Culture*, 11 (1937), pp.172.

(٣) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٦٧.

(٤) المباركورى ، من النارجيل إلى النخيل ، ص ٥٧٤.

من القراصنة بالقرب من موانئ السند ربما يكون قد أثر بشكل كبير على الرحلات التجارية التي كانت تتوجه إليها^١.

وعلى الجانب الاجتماعي ، كانت هناك هجرات متبادلة بين الجانبين العربي والسندي نتيجة أسباب مختلفة ، حيث استقرت بعض الهجرات العربية على الشريط الساحلي الغربي لشبه القارة الهندية ، حيث أقام العرب هناك بعض المراكز العمرانية في السند وساحل مليبار^٢ وسيلان^٣ وغيرها^٤، وعلى الجانب الآخر نزحت بعض القبائل

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٣.

(٢) حمل هذا الساحل قديماً اسم كيرلم Karalam ، وهي صورة محرفة لكلمة جيرلم Charalam أو جيرل بمعنى سلسلة الجبال ، وكلمة مليبار أطلقها المسلمون على هذا الساحل وهي مكونة من مقطعين ، مالى Mali بمعنى جبل ، وبار Bar بمعنى بلد انظر: محي الدين الألوائى ، مابلا ، مجلة ثقافة الهند ، سبتمبر ١٩٥٥ ، ص ٥٩.

(٣) وهي جزيرة سرنديب ، وتقع جنوب شبه القارة الهندية ، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر: الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٧٢ - ٧٤ ؛ البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٤٦ - ٤٧.

(٤) عن المراكز العمرانية المبكرة التي أقامها العرب في الهند انظر :

Nadvi, S., " Muslim colonies in India before the Muslim conquest ", *Islamic Culture* 8 (1934), pp.477-489, 600 - 620; 9 (1935), pp.144-166, 423 - 442.

السندية مثل الميد والزط والسيابجة^١ والأساورة^٢ واستقرت في بعض المناطق العربية خاصة جنوب العراق والساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية^٣.

وهكذا ، لم يكن غريباً أن يفكر العرب بعد قيام الدولة الإسلامية في محاولة ضم الهند إلى دولتهم ، بداية من السند مروراً بباقي أجزائها الجنوبية. لكن الأمر لم يكن سهلاً بطبيعة الحال ، فمحاولة فتح السند عبر الطريق البري في عهد أول الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق كانت ضرباً من الخيال ، لأن تقدم المسلمين نحو السند عبر هذا الطريق كان يحتم عليهم اختراق التخوم الشمالية لها، وكان ذلك يعني ضرورة فتح تلك التخوم أولاً ، ولما كان المسلمون مازالوا يقاتلون في الولايات الفارسية الشمالية ، لذا فإن أقرب نقطة إسلامية بريّة للسند كانت بعيدة للغاية. وبدأ الطريق البحري هنا أقرب الطرق لتحقيق هذا الهدف ، خاصة بعد امتداد النفوذ

(١) السيابجة هي معرب سياه بجه ، وسياه بمعنى الأسود ، وبجه بمعنى الأطفال ، والمعنى

العام الأطفال السود انظر: المباركبوري ، رجال السند والهند ، ص ٢٧٢ .

(٢) الأساورة لفظ مكون من مقطعين من اللغة السنسكريتية : أشو: بمعنى حصان ، ار: بمعنى

مرتفع ، والمعنى العام : الفارس ، انظر:

Plata, J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore, 1983) , pp.37.

(٣) عن الهجرات الهندية المبكرة للمناطق العربية انظر، المباركبوري ، من النارجيل إلى النخيل،

مجلة ثقافة الهند ، ١٩٦٥ ، ص ٣٣ - ٦٦ .

الإسلامى حتى السواحل العمانية ، وبالتالي كان الانطلاق البحرى منها هو أقرب الطرق للوصول إلى السند في تلك الفترة. ورغم ذلك رأت السلطة الإسلامية المركزية تأجيل تلك المحاولة لفترة لاحقة ، ذنظراً لصعوبة الطريق البرى ، كما أن البحرية الإسلامية الرسمية في هذه المنطقة كانت جنيئاً لم يظهر للنور بعد^١.

وقبل الخوض في تفاصيل أولى المحاولات التي قام بها المسلمون لفتح السند ينبغي أن نحاول أن نرصد في البداية الدوافع الحقيقية التي جعلت المسلمين يخططون لفتح السند ومن بعدها الهند. ويمكن أن نوجز هذه الدوافع فيما يلى:

أولاً: الحماسة الدينية ورغبة المسلمين في الجهاد في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية ، حيث كان الهدف الاسمى للمسلمين نشر الاسلام ودعوته في انحاء الأرض من خلال فتح المناطق المحيطة بهم حتى يسهل نشر الإسلام بها. وزاد من تلك الحماسة أن الهند اكتسبت مكانة خاصة خاصة عند المسلمين ، وذلك لوجود عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي وعدت المسلمين بفتح الهند ومجدت المشاركين في هذا الفتح ، وأهم الأحاديث ما رواه النسائى في سننه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عصابتان من أمتى أحرزهما الله من النار ،

(١) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى في الهند في العصور الوسطى ، القاهرة ٢٠١٤ ،

عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم " ، كما روى عن أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال: " وعدنا رسول الله غزو الهند ، فإن أدركتها أنفق فيها نفسى ومالى ، وإن قتلت كنت أفضل الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر^١. كذلك ما رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يغزو قوم من أمتي الهند يفتح الله عليهم حتى يأتوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل فيغفر الله لهم ذنوبهم فينصرفون إلى الشام فيجدون عيسى بن مريم عليه السلام بالشام^٢ ".

ولاشك أن هذه الاحاديث النبوية الشريفة قد زادت من حماسة المسلمين لعملية الفتح ، حيث وعدت المشاركين فيها بالجنة ، كما اعتبرتهم مساوين للمسلمين الأبطال الذين سيكونون برفقة عيسى بن مريم في قتال المسيح الدجال آخر الزمان،

(١) انظر: النسائي ، كتاب السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان ، سيد حسن ، ج٣ ،

بيروت ، ١٩٩١ ، ص ٢٨ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، القاهرة

(ب.ت)، ص ٢٢٨ ؛ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر الحمزاوى ،

محمود الطناحى ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ ؛ الهيثمى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،

ج ٥ ، القاهرة ١٤٠٧ هـ ، ص ٢٨٢ .

(٢) انظر: النعيم بن حماد ، كتاب الفتن ، تحقيق : سهيل زكار ، بيروت ١٩٩٣ ، ص ٢٥٣ .

وان كان هذا الحديث يصنف كحديث ضعيف.

وجعلت بذلك فتح الهند ضمن آمال المسلمين وطموحاتهم المستقبلية ، بل جعلت الفتح كما ذكر بعض الباحثين واجب ديني مقدس^١.

ثانياً: الدوافع الاقتصادية ، ولا يُقصد به هنا ما رآه بعض الباحثين^٢ من أنه كان المحرك الأساسي للمسلمين ، وأن اندفاعهم نحو الهند كان ورائه أخبار ثرواتها من الذهب والجواهر، وأن حملاتهم كانت غارات للسلب والنهب ولم يكن هدفها الفتح . وهو أمر مبالغ فيه بالطبع ، ويعتبر جزء من الصورة المشوهة التي يروجها بعض المستشرقين عن طبيعة الفتوحات الإسلامية. والمقصود بالدافع الاقتصادي هنا هو محاولة حماية اقتصاد الدولة الإسلامية وتجارتها من هجمات القراصنة الهنود. حيث كانت بعض موانئ ساحل الهند الغربي تعج بسفن القراصنة الهنود الذين دأبوا على الإغارة على السفن والموانئ العربية.

ولكى نفهم هذا الوضع يجب أن نرجع بالزمان عدة قرون ، حين كان العرب - خاصة عرب الجنوب في عمان واليمن - يسيطرون على مقاليد التجارة في منطقة

-
- (1) Friedmann, Y., “ A contribution to the early history of Islam in India “, in Myriam Rosen – Ayalon (ed.), Studies in memory of Gaston Wiet, (Jerusalem, 1977), p.319; Titus, M., Islam in India and Pakistan, (Calcutta, 1959), p.8.
- (2) Prasad, I., History of medieval India, p.53 ; Lanepoole, S., Medieval India under Mohammedan rule,(London , 1971) , p.20 ; Titus, Islam in India , p.37.

الخليج العربى والمحيط الهندى ، ثم انتقلت تلك السيطرة للفرس مع دخولهم المنطقة كقوة عظمى ، ثم دخلت الإمبراطورية البيزنطية في الصورة واحتدم الصراع بين الإمبراطوريتين حول الطرق التجارية البحرية المؤدية للهند والصين ، كما ظهرت مملكة أكسوم Auxum الحبشية كمنافس ثالث في ظل غياب الدور العربى^١.

ثم سرعان ما عاد العرب للظهور على الساحة بعد قيام الدولة الإسلامية وتوجيههم الضربات المتلاحقة للفرس والبيزنطيين ، ولاحت في الأفق بوادر السيطرة الإسلامية على المنطقة خاصة بعد ضعف البحرية الفارسية ، وكان كل ذلك إيذاناً بعودة السيطرة العربية ، لكن هؤلاء القراصنة الهنود باتوا يهددون تلك السيطرة بهجماتهم المستمرة على السفن الإسلامية^٢، لذا كان من الضرورى توجيه بعض الضربات لهم .

(١) للوقوف على طبيعة هذا الصراع ودوافعه انظر، جورج حورانى، العرب والملاحة في المحيط الهندى ت. السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٠، ص ٩٧-١٠٥ ؛ هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج١، ت. أحمد محمد رضا ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢-٢٤ ؛ رأفت عبد الحميد ، الصراع الدولى حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادى ، الإمبراطورية البيزنطية ، ج١، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٩٥-٢٤٩ .

(٢) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى في الهند ، ص ١٦ .

ثالثاً: مطاردة الهنود المرتدين ، حيث يضيف بعض الباحثين هذا الدافع ضمن دوافع المسلمين لفتح السند^١. فكما نعلم أن بعض العناصر من سكان السند كالزط والسيابجة كانوا يستوطنون بعض المناطق في شبه الجزيرة العربية مثل القطيف وهجر ، وحينما حدثت فتنة الردة في البحرين سنة ١١ هـ انضم بعضهم لها ، بل وشاركوا في القتال ضد الجيوش التي أرسلها الخليفة أبو بكر لقتال المرتدين^٢، وفي ذلك يقول الطبري : " لما مات النبي ﷺ خرج الحطم بن ضبيعة أخو بني عبدالقيس بن ثعلبة فيمن أتبعه من بكر بن وائل على الردة ، ومن تأشب إليه من غير المرتدين، ممن لم يزل كافراً حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة^٣، وحين لحقت الهزيمة بهذه الجيوش ، فر هؤلاء الهنود وعاد بعضهم لموطنه الأصلي في السند.

(١) التوم الطالب محمد ، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ، مجلة المؤرخ

المصري ، ١٩٨٩ ، ص ٧٩ ؛ عبد الله محمد جمال الدين ، التاريخ والحضارة الإسلامية في

الباكستان ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٨.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٢٠.

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ : ابن الأثير ، الكامل

في التاريخ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٤٩.

وهذا الرأي تبدوا فيه بعض المبالغة ، فالحملات الأولية التي انطلقت لفتح السند خلال عصر الخلفاء الراشدين كما سنرى اكتفت بالهجوم على بعض المدن الساحلية ولم تحاول التغلغل داخل البلاد ، وهو أمر بديهي فلم يكن للمسلمين أن يشنوا حملات انتقامية تحتاج الكثير من الرجال والعتاد خلال تلك الفترة الحرجة من قتالهم على الجبهة الفارسية.

رابعاً: الانتقام من حاكم السند ، حيث يرى بعض الباحثين^١ أن أحد أهداف المسلمين في فتحهم للسند خلال تلك الفترة المبكرة هو الانتقام من حاكم السند لمساعدته للفرس في قتالهم للمسلمين ، وكذلك الانتقام من اهل السند لان بعضهم كان ينخرط ضمن صفوف الجيش الفارسي. حيث قام الحاكم الفارسي هرمز بعدة حملات بحرية إلى سواحل بلاد السند ، وكانت نتيجة لهذه الحملات أن وقع في أسره أعداد كبيرة من أهالي السند فجلبهم إلى فارس ، وكان معظمهم من قوم الزط لأن معظم الجيوش السندية كانت تتألف منهم ، وقد ضمهم هرمز إلى الجيوش الساسانية ليحاربوا العرب بجانب الفرس^٢.

(١) التوم الطالب محمد ، فتح إقليم السند ، ص ٨٠ ؛ عبد الله محمد جمال الدين ، التاريخ

والحضارة الإسلامية ، ص ١٨.

(٢) فايضة اسماعيل ، الزط ، ص ١٣١.

وهذا الرأي أيضاً تبدو فيه بعض المبالغة ، فسوف نرى أن الحملات الأولية لم تحاول التوغل داخل السند أو الدخول في معارك كبيرة مع الجيش السندی انتقاماً من ملك السند. كما أن بعض أهل السند الذين كانوا منخرطين في الجيش الفارسی تبدو جنديتهم أقرب لنوع من العبودية منه للمقاتلين المرتزقة نتيجة ظروفهم الاقتصادية القاسية وبالتالي لم يكن لهم حق رفض القتال ضد الجيوش الإسلامية^١.

(١) المباركبوری ، من النخيل إلى النارجیل ، ص ٤٣ .

(أ) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد عمر بن الخطاب (١٣-)

٢٢٣هـ/٦٤٣-٦٤٤م):

رغم توافر الدوافع أمام المسلمين للتفكير في غزو السند ، إلا أن السلطة الحاكمة لم تفكر حتى هذا الوقت في إرسال حملات لفتحها ، نظراً لأن الجيوش الإسلامية لم تكن قد وصلت إلى أرض قريبة منها ، تسمح لها بغزوها عن طريق البر، كما كان الغزو عن طريق البحر خلال تلك الفترة أمراً بعيد المنال ؛ لعدم توافر أسطول بحري إسلامي قادر على القيام بهذا الأمر. لكن ذلك لم يمنع وجود بعض المحاولات الفردية ، التي تمت بمبادرات شخصية ، مثل التي قام بها عثمان بن أبي العاص الثقفي^١ وإلى عمان والبحرين، حيث أرسل ثلاث حملات بحرية ، استهدفت بعض مدن الساحل الغربي للسند مثل تانه وبروص وديبل^٢. وقد اختلف الباحثون حول تاريخ هذه الحملات ، فقد رأى الباحث الهندي نايجم Nigam^٣ أنها تمت في

(١) هو أبو عبد الله عثمان بن أبي العاص بشير الثقفي ، استعمله الرسول - صلى الله عليه

وسلم - على الطائف ، ثم ولاه عمر بن الخطاب عمان والبحرين ، ولمزيد عنه انظر: ابن

سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٥٠٨-٥٠٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٠.

(3) Nigam, S., "Religious attitude of Muslim rules in India", *Islamic Culture*, 56 (1982), p.97.

بداية عام ١١١هـ/٦٣٢م ، بينما ذهب بلوتش Baloch^١ إلى أن تاريخ هذه الحملة هو عام ١٥هـ/٦٣٦م ، في حين رأى اسحق Ishaq^٢ أن التاريخ الصحيح لهذه الحملات هو عام ٢٣هـ/٦٤٣م. والمدقق في الاحداث ووفقاً لما ذكرته المصادر التاريخية يجد أن أقرب تاريخ لهذه الحملات هو عام ١٥هـ/٦٣٦م.

ويبدو التساؤل هنا حول الدافع الذي جعل عثمان بن العاص يخاطر بالقيام بهذه الحملات دون الرجوع للخليفة ؟ لاشك أن الدوافع التي سبق ذكرها كان لها دور في تفكير عثمان للقيام بهذه الحملات ، لكن يمكن أن نضيف لهذه الدوافع الطموح الشخصي لعثمان الذي أراد تحقيق بعض الانتصارات التي تنسب له ، ولما كانت سواحل السند هي الأقرب له ، فكان من الطبيعي أن يفكر في توجيه هذه الحملات نحوها. ولعل ما شجعه على ذلك تلك المناوشات الجريئة التي قام بها سلفه العلاء الحضرمي ، وما حققه من نجاح في المياه الفارسية^٣، مما جعل عثمان يتطلع لتحقيق

(1) Baloch, N., "The probable date of the First Arab expeditions to India", *Islamic Culture*, 20 (1946), pp.250-266.

(2) Ishaq, M., "A peep into the First Arab expeditions on India under the companions of the Prophet", *Islamic Culture*, 19 (1945), pp.109-114.

(٣) للوقوف على معارك العلاء الحضرمي ضد البحرية الفارسية انظر ، محمد أرشيد العقيلي ،

دور الخليج العربي في الفتوحات الإسلامية ، ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي،

جامعة الإمارات ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٦ - ١٦٨ .

نجاح مماثل في المياه الهندية متأثراً بما سمعه من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أثناء صحبته له ، وما لمسّه من خبرة أهل عمان والبحرين البحرية في المنطقة، وتنقلهم الدائم وهجراتهم المستمرة للمناطق الساحلية المقابلة لهم^١.

وقد قاد عثمان بنفسه الحملة الأولى التي اتجهت نحو جزيرة تانة ، وأسند قيادة الحملة الثانية التي اتجهت نحو مدينة بروس إلى أخيه الحكم بن العاص^٢، بينما أسند إلى أخيه المغيرة^٣ قيادة الحملة الثالثة التي اتجهت نحو ميناء ديبيل^٤. ولم تعطنا المصادر التاريخية تفاصيل وافية عما دار في تلك الحملات أو نتائجها ، واكتفت بذكر أنها كانت في مجملها ناجحة ، وإن اختلفت في مصير قائد الحملة الأخيرة ، فعلى

(١) عن خبرة أهل عمان والبحرين وانتشارهم في الأقاليم المجاورة لهم انظر ، فاروق عمر، انتشار العرب في أقاليم الخليج العربي الشرقية في العصور الإسلامية الأولى ، ندوة مكانة الخليج ، ص ٦٢ - ٧٠.

(٢) هو أبو عبد الملك بن إلى العاص بشير الثقفي ، شارك في فتوح فارس ، ولمزيد عنه انظر: الدينوري ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١١٣.

(٣) هو المغيرة بن أبي العاص بن بشير الثقفي ، ولمزيد عنه انظر: ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٦٦.

(٤) الكوفي ، فتحنامه سند ، ص ٨٣ .

حين ذكر البلاذري^١ أنه انتصر وعاد سالماً ، في حين يذكر الكوفي^٢ أنه قد قتل أثناء هذه الحملة.

ولم يكن من المتوقع أن تحقق هذه الحملات نجاحاً كبيراً أو تفتح أجزاء من السند ، لأن جيوش عثمان بن العاص لم تكن كافية لتحقيق ذلك ، كما أنه لم يتم التخطيط جيداً لهذه الحملات ، فهي أشبه بمغامرة حربية منها إلى حملات حربية منظمة.

وحين وصلت أخبار هذه الحملات إلى الخليفة عمر استشاط غضباً من جرأة عثمان وإقدامه على ذلك الأمر دون الرجوع إليه ، وأرسل لعثمان يوبخه قائلاً : " يا أبا ثقيف لقد حملت دود على عود ، وإنني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم " ^٣.

وأصل هذه العبارة (دود على عود) كانت رداً من عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب حين سأله رأيه في ركوب البحر ، حيث قال له: إنني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس فيه إلا السماء والماء ، إن ركذ فرّق القلوب ،

(١) فتوح البلدان ، ص ٤٢٠.

(٢) فتحنامه ، ص ٨٣ .

(٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠.

وإن تحرك أراع العقول ، يزيد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه دود على عود ،
 إن مال غرق ، وإن نجا فرق"¹.

وقد فسر البعض² هذا الرد على أنه فشل لتلك الحملات ، رغم ما يفهم من
 الرد من أنه لم تكن هناك خسائر بشرية أو مادية فادحة. كما فسر البعض رد عمر
 بن الخطاب بأنه جزء من رفض عمر للحملات البحرية ، وأنه يخشى ركوب البحر
 تأسيساً بالرسول صلى الله عليه وسلم³. وهو رأى جانبه الصواب ، فالثابت أن الرسول
 صلى الله عليه وسلم كان يشجع على غزوات البحر ، حيث روى عنه أنه قال:
 " غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر"⁴. كما أن عمر نفسه أرسل بعد ذلك عام

(١) انظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٦ ، ص ٣٢٣. ولمزيد عن أصل هذه العبارة

في المصادر التاريخية انظر :

Friedmann , Y., “ Minor problems in Al-Balduris account of the
 conquest of Sind ”, *Revisita degli studi orientali*, 45 (1970), pp.253-
 260.

(٢) عن هذا الرأي انظر:

Mahajan, D., Muslim rule in India, p.17.

(٣) عن هذا الرأي انظر : سعد محمد الغامدي ، الفتح الاسلامي لبلاد وادي السند ، حوليات كلية

الآداب – جامعة الكويت ، ص ٣٤.

(٤) انظر: ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، كتاب الجهاد ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٢٠.

٢٠هـ/٦٤٠م حملة بحرية إلى بلاد الحبشة^١. ولكن يمكن أن نفسر رد عمر في ضوء حرصه على ألا يقدم أحد ولاته على خطوة هامة مثل ذلك دون الرجوع إليه ، وكذلك حتى لا يفتح على المسلمين جبهة جديدة بعيدة عنهم في حين أن هناك العديد من الجبهات التي كان المسلمون يقاتلون فيها.

وبعد هذا الرد توقف النشاط الإسلامي نحو الهند لفترة مؤقتة انصرف المسلمون خلالها لاستكمال فتوحاتهم في الولايات الفارسية الجنوبية ، واستغرقت تلك الفتوحات ما يقرب من عقد كامل ، وبعد أن توغل المسلمون في إقليم كرمان تطلعوا لفتح مكران ورغم أن مكران كانت تخضع إدارياً للسلطة الفارسية ، فإنها كانت تعتبر أول حد طبيعي للسند من ناحية الشمال الغربي^٢.

وخلال عام ٢٣هـ/٦٤٣م وصلت طلائع الجيش الإسلامي على مكران بقيادة الحكم بن عمرو الثعلبي^٣، وكانت تتبع السند خلال تلك الفترة ، ولما فشل حاكمها في التصدي للجيوش الإسلامية اضطر للاستنجاد براجا چچ حاكم السند ، واستجاب

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ١١٢.

(٢) محمد نصر ، الوجود العربي في الهند ، ص ١٧.

(٣) هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حزيم بن الحارث بن ثعلبة ، ولمزيد عنه انظر: ابن حزم،

جمهرة انساب العرب ، ج ١ ، ص ١٨٦.

الأخير وأمدّه بقوات كبيرة ، لكن ذلك لم يمنع انتصار المسلمين مما شجعهم على التوغل أكثر في شمال السند فتقدموا حتى وصلوا إلى ضفاف نهر السند^١.

وقد أرسل الحكم أخبار هذا الانتصار مع بعض الغنائم للخليفة عمر مع رسول له ، وحين سأله عمر عن طبيعة المناطق التي غزتها الجيوش الإسلامية ذكر الرسول له أنها أرض قاسية وسكانها شديداً المراس ، أصدر الخليفة عمر أوامره الصارمة بأن تكتفي الجيوش الإسلامية بذلك ولا تتوغل داخل السند^٢. وربما فعل عمر ذلك خوفاً على توغل الجيوش الإسلامية في تلك المناطق ، أو ربما كان يخطط لحملة أخرى أكثر قوة وعتاداً ، لكن في كل الأحوال لم يمهله القدر لمتابعة ذلك بعد أن توفي خلال هذا العام.

(١) الطبري ، تاريخ الملوك والرسول ، ج ٤ ، ص ١٨١-١٨٢.

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٤٤.

(ب) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-)

٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م):

استمر توقف حركة الفتح في شمال الهند في بداية حكم الخليفة عثمان بن عفان (٢٤هـ - ٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٥م) ، بل إن سكان مكران سرعان ما انتفضوا على الحكم الإسلامي وخرجت مكران من حوزة المسلمين . ورغم ذلك ظل عثمان على موقفه المتردد في استكمال الفتح ، حيث أثر الخليفة في بداية حكمه ألا يخالف سياسة سلفه ، وظهر ذلك إبان فتوحات المغرب أيضاً ، حيث رفض استكمال ما أمر عمر بتوقفه ولم يعاود الفتح إلا بعد أن ألح عليه كبار الصحابة ، ويبدو أن عثمان مع منحه الضوء الأخضر لاستكمال الفتوحات في المغرب ، أعاد التفكير مرة أخرى في غزو الهند ولكن مع بعض الحذر، لذلك أرسل لواليه على العراق يطلب منه إرسال مبعوث خاص في مهمة استكشافية للهند^١.

وقام الوالى بإرسال أحد رجاله في هذه المهمة ، لكن يبدو أن هذا الرجل سلك الطريق البرى عبر مكران ، وهناك صدم بجفاف تلك المناطق كما أعاقه السلوك الوحشى لسكان تلك المناطق ، وعندما عاد الى مركز الخلافة كان وصفه للهند وتحديدأ الجزء الشمالى منها كالتالى " ماؤها وشل وثمرها دقل ، وعدوها بطل ،

(١) ابن خياط ، تاريخ بن خياط ، ج ١، ص ١٧٩ .

وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكثير فيها قليل ، والقليل فيها ضائع ، إن قل الجيش بها ضاعوا وإن كثروا جاعوا " ^١.

ولاشك أن هذا التقرير أثار خوف الخليفة عثمان وألغى أية مخططات مستقبلية لغزو الهند، لكنه لم يكن إلغاءً نهائياً ، بل كانت فترة مؤقتة استأنف المسلمون بعدها الفتح ، وشجعهم على ذلك فتح إقليم سجستان ^٢، والذي كان موقعه استراتيجياً بالنسبة للسند ، وكان الطريق منها نحو الأخيرة أكثر سهولة من طريق مكران ، لذلك صارت سجستان قاعدة هامة للحملات الإسلامية عليها، وبالفعل انطلقت إلى هذه الحملات عام ٢٩هـ/٦٤٩م واستطاعت استعادة مكران والوصول حتى ضفاف نهر مهران ^٣.

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢١ .

(٢) من أهم الأقاليم الفارسية ، ولمزيد من التفاصيل عن ملامح جغرافيته انظر: القزويني ، آثار

البلاد ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ، ١٦٤ .

(ج) المحاولات الإسلامية لفتح السند خلال عهد الخليفة على بن أبي طالب

(٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م):

وعلى هذا النحو استطاع المسلمون وضع موطئ قدم لهم في الشمال الغربي للهند ، لكن اندلاع الخلافات بين المسلمين في أعقاب مقتل عثمان سرعان ما أوقف مشروع الفتح ، ثم عاود المسلمون نشاطهم في عهد على بن أبي طالب ، حيث انطلقت حملة جديدة من مركز الخلافة عام ٣٩هـ/٦٥٩م واستطاعت أن تعيد السيطرة الإسلامية على مكران ، لكن سرعان ما أثرت الأحداث في مركز الخلافة على أوضاع تلك الحملة بعد مقتل على وانتهى الأمر بهزيمتها ومقتل قائدها^١.

وهكذا في تقييمنا للحملات الإسلامية على الهند خلال عصر الخلفاء الراشدين نجد أن الوضع العام لتلك الحملات لم يكن يحمل طابعاً منظماً ، فكانت حملات استطلاعية في معظمها ، هاجمت السواحل الغربية والحدود الشمالية الغربية للهند ولم تتوغل في قلب شبه القارة ، واختلفت طبيعة هذه الحملات باختلاف العلل التاريخية داخلية كانت أم خارجية، إضافة لطبيعة البيئة الجغرافية .

وتأثرت هذه الحملات لحد بعيد بسياسة الخلفاء المركزية ، والأحداث التي كانت تعصف بمركز الخلافة، وكان استمرار هذه الحملات من عدمه مرتبطاً بما تراه

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٧.

السلطة المركزية وكان طابع هذه الحملات في عهد عمر غير رسمي ، ثم صارت رسمية في عهد عثمان ؛ ورغم أن هذه الحملات لم تحقق نجاحاً كبيراً نظرياً ، إلا أن الواقع أثبت أنها أتاحت للمسلمين خبرات واسعة بتلك المناطق ، وهو ما سيكون له كبير الأثر في اتساع نطاق الفتوحات خلال العصر الأموي ، وانتشار الإسلام في الهند بصورة واسعة بعد ذلك .

الفصل الثاني

فتح المسلمين للسند من خلال كتاب فتحنامه

والمصادر الأخرى (دراسة مقارنة)

أولاً : الحملات الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج الثقفي

ثانياً: الحملات الأموية لفتح السند في عهد الحجاج الثقفي

* حملة محمد بن القاسم:

أ- أسباب الحملة

ب- التجهيز للحملة

ج- وقائع الحملة

د- نتائج الحملة

أولاً : الحملات الأموية لفتح السند قبل عهد الحجاج الثقفي:

قدر لفتوحات المسلمين في السند خلال العصر الأموي أن تأخذ منحى جديد ، اتخذت فيه شكلاً أكثر انتظاماً ، وأصبح لها مردود واسع ، لكن هذا التحول لم يتم دفعة واحدة خلال هذا العصر ؛ بل استغرق فترة امتدت قرابة نصف قرن من الزمان ، حافظ الأمويون خلالها على التنظيم الثغري^١، الذي وضعوه على حدود دولتهم ، والذي يقضى باتخاذ الولايات الحدودية كثغور للهجوم على المناطق المجاورة ، ومحاولة فتحها. وفي بداية هذا العصر كانت الحملات تخرج من ثغرى سجستان ومكران، بتوجيه مباشر من مركز الخلافة ، أو بواسطة والى العراق الذى أنيط به الإشراف على أعمال الفتح فى المناطق الشرقية من الدولة ، وكانت هذه الحملات تهدف إلى اختبار قوة مملكة السند ، وتثبيت الحدود الإسلامية المتاخمة لها^٢. وكانت الحملات فى بداية

(١) تأثر هذا التنظيم إلى حد ما بالنظام البيزنطى فى حماية الحدود ، وأساسه أن تنشأ سلسلة من الحصون على الحدود ، يركز فيها المقاتلة والجنود والمجاهدون والمرابطون ، وتحشد المئون والذخائر ، وتقوم الحصون الثغرية بسلسلة من الغارات الموسمية ، إما فى الشتاء أو الصيف ، وتهدف هذه الغارات إلى تثبيت خط الحدود والدفاع عنه انظر: حسن أحمد محمود ، الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ،

ص ١٩ .

(٢) محمد نصر ، الوجود الإسلامى فى الهند ، ص ٢٠ .

هذا العصر غير فعالة في تحقيق تقدم إسلامي داخل مملكة السند ، لكن الأمر تغير في منتصف هذا العصر وبدأ المسلمون يحققون انتصارات حاسمة في السند ، تمكنوا بعدها من فتح كثير من أجزاء هذه المملكة.

وكانت فاتحة هذه الحملات في عام ٤٤٤هـ/٦٦٤م من خلال حملتين ؛ الأولى كانت بقيادة القائد الشهير المهلب بن أبي صفرة^١، وهي الحملة التي ذكرتها بعض المصادر مثل البلاذري^٢ والذهبي^٣ وخليفة بن خياط^٤ ، في حين لم يرد ذكرها لدى الكوفي. وكانت هذه الحملة بتوجيه من والي العراق ، واستطاع المهلب أن يتوغل في أقصى شمال السند خاصة في قلب مملكة كابل ، وتمكن من الاستيلاء على بعض المناطق الواقعة بين كابل والسند مثل بنة والأهوار^٥ ، واكتفى المهلب بذلك وعاد إلى سجستان.

(١) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة بن سراق بن صبح ، وينتهي نسبه إلى الأزدي ، وهو من

عمان ، ولد عام الفتح في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومات بمرور عام ٨٣هـ/٧٠٢م،

انظر: ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٧٠.

(٢) فتوح البلدان ، ص ٦٠٨.

(٣) العبر في خبر من غير ، ج ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠ ، ص ٥٢.

(٤) تاريخه ، ج ١ ، ص ١٢٦.

(٥) تقع بنة في غرب باكستان وتسمى الآن بنوكوهات ، والأهوار هي لاهور الحالية. ولمزيد

عنهما انظر، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٠١ .

أما الحملة الثانية فكانت بقيادة عبد الله بن سوار^١، وقد ورد ذكرها عند البلاذري ، وغيره من المؤرخين كاليعقوبي وخليفة بن خياط ، وكذلك ذكرها الكوفي ولكن مع بعض الاختلافات. فقد اتفقت المصادر الأولى على أنها كانت حملتان وليست حملة واحدة ، كانت الحملة الأولى عام ٤٤هـ/٦٦٤م ونجحت في تحقيق انتصارات بسيطة شمال السند وحقت بعض الغنائم ومنها بعض الخيول النادرة. وتذكر هذه المصادر أن هذه الخيول أثارت إعجاب الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، مما جعله يرسله في حملة ثانية على تلك المنطقة عام ٤٧هـ/٦٦٧م ؛ لإحضار مزيد من هذه الخيول ، لكن سكان هذه المنطقة حاصروا عبد الله وجيشه ، وهزموه هذه المرة ، وقتل هو نفسه خلال ذلك^٢.

أما رواية الكوفي؛ فقد تفردت عن الروايات السابقة في غزارة تفاصيلها واختلافها عن هذه الروايات في بعض الأمور ، فقد أخطأ حين دمج أحداث الحملتين في حملة واحدة فلم يفصل بينهما ، لكنه بالمقابل أعطى كثير من التفاصيل عن تحركات عبد الله خاصة تفاصيل المعركة الأخيرة ، كما أنه أزاح بعض الغموض في

(١) هو عبد الله بن سوار بن همام العبدى ، من بنى مرة بن همام. وللمزيد عنه انظر ، ابن

سعد، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٤٦.

(٢) انظر: البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ؛ الذهبي ، العبر ، ج ١ ، ص ٥٤ ؛ خليفة

بن خياط ، تاريخه ، ص ١٢٧.

العبارة التي ذكرها البلاذري عن عبد الله في قوله : " وكان سخياً ، لم يوقد أحد ناراً غير ناره في عسكره ، فرأى ذات ليلة ناراً ، فقال : ما هذه ، فقالوا : امرأة نفساء يعمل لها الخبيص (نوع من الحلوى) ، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثاً". فقد فسر عبارة لم يوقد أحداً ناراً غير ناره في عسكره ، حين ذكر أن معاوية زوده بكل ما يحتاج إليه في حملته حتى لا يشعل أحد ناراً ليلاً، ربما حتى لا يكشف عن مكان معسكر المسلمين في الليل. وبوجه عام كان معظم ما حققه المسلمون من فتوحات قبل عهد الحجاج ينحصر في ولاية مكران وتوابعها ، دون أن يتقدموا بشكل فعلى لمملكة السند.

ثانياً: الحملات الأموية لفتح السند في عهد الحجاج الثقفي

خلال عهد الحجاج الثقفي تطورت الحملات الإسلامية ، وبدأت في التوغل داخل مملكة السند نفسها ، لكن ذلك لم يأت دفعة واحدة بل جاء بشكل تدريجي . وكانت فاتحة العلاقة بين الحجاج والسند سيئة ، إذ يذكر كل من البلاذري^١ وابن خياط^٢: أن الحجاج ما إن تولى شئون العراق ؛ حتى فوجئ باستيلاء إحدى الأسر العربية وتدعى أسرة العلافى^٣ على ولاية مكران ، وقام زعيما هذه الأسرة محمد ومعاوية بقتل والي الحجاج عليها ، مستندين في ذلك على دعم داهر حاكم السند لهما . ويقدم لنا الكوفي^٤ تفاصيل وافية عن أسرة العلافى وجذور تواجدها بالسند ، حيث يذكر أن رجلاً عربياً يدعى محمد بن الحارث العلافى ؛ كان من رجال الحجاج في السابق ، ثم تمرد عليه ، وفر مع بعض رجاله إلى داهر حاكم السند ، ورحب

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١١ .

(٢) تاريخه ، ص ١٧٤ .

(٣) يذكر كل من ابن خياط والكوفي أن جذور تلك الأسرة ترجع إلى بنى سامة بن لؤى ، وهى إحدى قبائل قريش ، بينما يذكر البلاذري أنهم من قبيلة قضاة . والرأى الأول هو الأصح انظر: الزبير بن بكار القرشى الزبيرى ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، ج ٢ ، تحقيق : عباس

هانى الجراح ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠ ، ص ١٦٥ .

(٤) فتحنامه ، ص ٧٩-٨٠ .

الأخير به بعد أن اطمئن إليه ، وجعله من رجاله ، وشارك العلافى بعدها فى بعض المعارك لصالح داهر .

وقد أصاب الغضب الحجاج ؛ ليس فقط لمقتل واليه وضياع ولاية مكران ، ولكن لأن ذلك تم يد على أيدى بعض المتمردين ضده ، فبادر على الفور بإرسال حملة إليها عام ٦٩٧هـ / ٧٨م ، لكنها فشلت فأتبعها بحملة أخرى فى العام التالى ، وكانت هذه الحملة أوفر حظاً من سابقتها ، حيث انتصرت على العلافيين ، وقتل محمد وهرب معاوية ولجأ إلى داهر ، وعادت بذلك مكران للسيادة الأموية^١ . ونلاحظ أنه حتى هذه الوقت لم يتم صدام مباشر بين داهر والجيش الإسلامية.

*** حملة محمد بن القاسم :**

أ- أسباب الحملة والتجهيز لها

عند الحديث عن الدوافع التى حملت الحجاج الثقفى على إرسال حملة كبيرة لفتح السند ، بدلاً من الحملات الصغيرة السابقة ، لدينا روايتان تتفقان فى بعض التفاصيل وتختلفان فى البعض الآخر. والرواية الأولى ذكرها البلاذرى، حيث يروي أن بعض التجار المسلمين كانوا يعيشون فى جزيرة الياقوت ويعملون بالتجارة بها ، وبعد وفاة هؤلاء التجار تركوا ورائهم ذرية من النساء ، وأراد حاكم الجزيرة أن يتقرب من

(١) الذهبى ، دول الإسلام ، ج ١ ، ص ٧٠ .

الحجاج بأن يرسل إليه هؤلاء النسوة حتى يعودوا لموطنهم الأول ، فقام بإرسالهن فى عدة سفن إلى البصرة ، وأثناء رحلة العودة تعرضت لهن بعض سفن القراصنة الميد بالقرب من ميناء ديبيل وقاموا بأسرهن. وقد استغاثت إحدى هؤلاء النسوة بالحجاج ، وحينما وصل الخبر إليه ، قام بمراسلة داهر يطلب منه التدخل بنفوذه لإطلاق سراحهم ، لكن داهر رد معتذرا بأن هؤلاء مجموعة من اللصوص الأقوياء ، ولا يمكنه التدخل لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى^١.

تلك كانت رواية البلاذرى ، والتي روى فيها بشكل مختصر الدافع الذى حرك الحجاج للتعبيل فى الدفع بحملة كبيرة على السند. وعلى الجانب الآخر لدينا رواية ثانية لتلك الحادثة ، ولكن بشكل مختلف فى بعض التفاصيل ، ومسهب فى البعض الآخر. تلك الرواية نجدها عند الكوفى ، ونقلها عنه الهروى فى طبقاته^٢، حيث ذكر أن ملك جزيرة اليواقيت ، أرسل للحجاج سفينة محملة بالتحف والهدايا والعبيد الأحباش ، كما أرسل للخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بعض الهدايا الفاخرة أيضاً. وقد صاحبت هذه السفينة بعض النساء المسلمات لزيارة الكعبة والبلاد الإسلامية ، ونظراً لسوء الأحوال الجوية ؛ جنحت السفينة نحو ميناء ديبيل حيث أسرها بعض

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٢ - ٦١٣.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ج ٣ ، ت. أحمد عبد القادر الشاذلى ، القاهرة ١٩٩٥ ،

القراصنة ، وقاموا بالاستيلاء على ما فيها من هدايا والأموال بجانب النساء اللاتي صرخن استغاثة بالحجاج. وقد نجح بعض ممن كانوا على متن السفينة في الفرار وذهبوا للحجاج وقصوا على الحجاج ما حدث. وعلى الفور أرسل للحجاج رسولاً إلى داهر يطلب منه فك أسر النساء وإعادة هدايا الخليفة وقرن الرسالة بالتهديد والوعيد لكن داهر اعتذر بعدم قدرته على فعل ذلك لقوة هؤلاء اللصوص والقراصنة^١.

وكما يبدو من مقارنة الروایتين أن رواية البلاذري كانت مقتضبة على العكس من الكوفي الذي أسهب في ذكر التفاصيل التي أوضحت كثيراً مما غمض علينا في رواية البلاذري. وإن كان البلاذري قد حدد زمن هذه الحادثة بعهد عبد الملك بن مروان على العكس من الكوفي الذي ربطها بعد الوليد بن عبد الملك وهو خطأ واضح. وهناك اختلاف في بعض التفاصيل فيما يخص السبب الذي خرجت من أجله السفن من جزيرة الياقوت نحو البصرة ، وكذلك طريقة وصول خبر ما حدث إلى الحجاج. كما أن هناك اختلاف في بعض المسميات ، فعلى حين ذكر البلاذري أن القراصنة الذين أسروا السفينة هم من عنصر الميد ، نجد الكوفي يذكر أنهم من عنصر التكاكرة^٢.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٩٦-٩٨.

(٢) التكاكرة جمع تكري أو تاكر ، وهم قوم من الهنود القح امتازوا بشجاعتهم حتى كانت مضرب

المثل ، وفي لسان العرب: التكري القائد من قواد السند والجمع تكاكرة ، الحقوا الهاء للعجمة.

انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

أما عن اسم الجزيرة فقد أثارت المسميات التي أطلقها عليها الكاتبان تساؤلات كثيرة حول طبيعة هذه الجزيرة ، فقد ذكرها البلاذري باسم جزيرة الياقوت وأضاف انها سميت بذلك لجمال نسائها ، فى حين ذكرها الكوفى باسم جزيرة الياقوت وملكها باسم ملك سرنديب^١. ووصف البلاذري للجزيرة يوحى بأنها ليست جزيرة سرنديب ، لأن سبب تسميتها الذى ذكره يتطابق مع ما ذكره البيرونى^٢ عن جزيرة تسمى جزيرة الياقوت بسبب جمال نسائها وتقع بالقرب من اندونيسيا الحالية. بينما يؤكد الكوفى على أنها جزيرة سرنديب وهو الافتراض الأقرب للصحة فى ضوء ما ذكر عن محاولة حاكم سرنديب وسلوكه الودى تجاه الحجاج ، والذى يبدو طبيعياً فى ضوء العلاقات التجارية لبلاده مع العراق ، حيث كان الحجاج يحكم البصرة والكوفة الواقعتان فى وادى دجلة والفرات ، تلك المنطقة التى كانت ترسو فيها السفن القادمة من سرنديب والبحار الشرقية وتبحر منها أيضاً فى طريقها للهند والصين. حيث كانت السفن تحمل البضائع من البصرة وموانئ عمان الشمالية إلى سيراف التى تبدأ منها رحلته ، وفيها تفرغ تلك السفن حمولتها فى سفن أكبر تتزود بالمؤن ثم تتجه للموانئ الجنوبية لعمان ، حيث تعاود التزود بالمؤن استعداداً للإبحار فى مياه المحيط الهندى. وبعد

(١) هى جزيرة تقع جنوب الهند وتسمى أيضاً سيلان ، وهى سيرلانكا الحالية وللمزيد من

التفاصيل عنها انظر، الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٧٢ - ٧٤.

(٢) الجماهر فى معرفة الجواهر ، حيدر آباد ، ١٣٥٥هـ ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ذلك تبحر السفن مباشرة نحو الجنوب الغربى للهند ، حيث تصلها بعد شهر فى الأحوال العادية . وهناك تؤدى المكوس وتتزود بالمؤن ، ثم تواصل رحلتها إلى جزيرة سيلان ومنها إلى خليج البنغال ثم تتجه أخيراً نحو الصين^١.

أعقب الموقف المتخاذل لداهر ؛ غضب عارم من الحجاج ربما جعله يتعجل فى إرسال حملتين سريعتين لمهاجمة ميناء الديبل ، وفك أسرى النساء المسلمات ، وقد أشار كل من البلاذري^٢ واليعقوبى^٣ لهاتين الحملتين فى اقتضاب شديد ، اكتفيا فيه بذكر أسماء قادة هاتين الحملتين وفشلهما فى النهاية ، حيث ذكرا أن الحجاج أرسل حملة لمهاجمة الديبل لكنها فشلت وقتل قائدها ، فأعقبها بحملة أخرى لم تكن أفضل مصيراً من سابقتها. أما الكوفي فقد أسهب فى سرد تفاصيل هاتين الحملتين خاصة الحملة الثانية حيث ذكر أنها حققت الانتصار فى البداية على الجيش السندى مما جعل داهر حاكم السند يرسل جيشاً كبيراً بقيادة ابنه (جيسييه) الذى تمكن من هزيمة هذه الحملة أيضاً وقتل قائدها. كما ذكر أن سكان مدينة نيرون خشوا عواقب غضب

(١) سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه ، باريس ١٩٤٨ ، ص ٨ -

٩.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٢.

(٣) اليعقوبى ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٧.

الحجاج لمقتل قائديه ومحاولته الانتقام منهم فأرسلوا وفداً منهم دون علم داهر مع بعض الهدايا يطلبون الأمان من الحجاج فأجابهم إلى طلبهم^١.

وكما نلاحظ هنا فإن الكوفى ينفرد كالعادة بتفاصيل وفيرة عن غيره من المصادر الأخرى ، خاصة فيما يتعلق بدور ابن داهر فى صد حملات الإسلامية ، وكذلك الموقف الغريب لسكان بيروت تجاه الحجاج رغم هزيمة الجيوش الإسلامية. ولكننا نجد لدى البلاذري إشارة متأخرة لذلك الحدث ، حين يتحدث بعد ذلك عن فتح ابن القاسم لمدينة بيروت ، حيث يذكر ان أهلها سبق وأرسلوا للحجاج يطلبون الأمان قبل وصول ابن القاسم لهم^٢. وتبدو هنا رواية البلاذري هى الأقرب للصواب ، حيث يبدو موقف أهل بيروت طبيعياً بعد أن فتح المسلمون مدينة ديبيل كما سنرى ، وأصبح هدفهم التالى مدينة بيروت.

ب- التجهيز للحملة

خلال تلك الفترة منح الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الضوء الأخضر للحجاج للقيام بغزو السند ، ولم يمده بأى قوات من الشام لهذا الغرض ، وكان موقف الوليد هنا مبنياً على قلقه من التكاليف الضخمة المتوقعة لمثل تلك الحملة ، بجانب

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٩٨-١٠٠.

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

الفشل السابق للحملات الانتقامية التي سبق أن أرسلها الحجاج من قبل. لكن يبدو أن الموقف تغير ونجح الحجاج في تغيير موقف الوليد ، حين تعهد بتمويل الحملة دون أية أعباء على الخلافة ، والتعهد بالتجهيز والتخطيط السليم هذه المرة للحملة ، والانتقام من داهر وابنه والثأر منهما ، بجانب فك أسر النساء المسلمات الأسرى هناك. وبالفعل حصل الحجاج على موافقة الخليفة الأموي على غزو السند عام ٩٢هـ/٧١٠م ، وبدأ في الاستعداد المنظم لحملة واسعة على السند.

وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ هذه الحملة ، فالطبري^١ وابن الأثير^٢ وابن الجوزي^٣ يجعلانها قبل عام ٩٤هـ/٧١٢م ، أما البلاذري^٤ فلا يحدد تاريخاً لها ، وهناك من يرى أنها انطلقت عام ٩٢هـ/٧١٠م مثل ابن خياط^٥، واليعقوبي^٦،

(١) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٨٣.

(٢) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٢.

(٣) المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٧.

(٤) فتوح البلدان ، ص ٦١٢.

(٥) تاريخه ، ص ١٩٣.

(٦) تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٥.

والكوفى^١. ويبدو لنا هنا أن تقديرات المؤرخين هنا متقاربة ، وترجح أن بداية الحملة كانت بالفعل عام ٩٢هـ / ٧١٠م.

وقد تناول كل من البلاذري^٢ واليعقوبى^٣ أخبار تلك التجهيزات بشئ من الاقتضاب ، حيث ذكرا أن الحجاج وضع على رأس الحملة القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفى^٤، وأمدّه بجيش كبير من العراق ، بجانب فرقة من الشاميين تقدر بستة آلاف مقاتل ، وما يحتاجونه من عتاد ، حتى أنه أمدّهم بالخيط والخل ، بعد أن علم أنه نادر الوجود بالسند ، حتى لا يحتاج الجيش الإسلامى لأى شيء خلال حملته.

أما الكوفى فنجد عنده تفاصيل دقيقة عن الحملة ، فيما يخص تكوين الحملة وعتادها يفوق ما ذكرته المصادر الأخرى ، بجانب تفردّه بتفاصيل لم ترد فى هذه

(١) فتحنامه ، ص ١٠٤

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٢-٦١٣.

(٣) اليعقوبى ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٥-٣٤٧.

(٤) هو محمد بن القاسم بن يوسف بن عمر بن محمد بن أبى الحكم بن عقيل الثقفى ، وهو ابن

عم الحجاج ، وللمزيد عنه انظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٨ ؛ محمود شيت

خطاب ، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٦ ،

١٩٦٨ ، ص ١٢٧ - ١٤٨؛ المباركورى ، رجال السند والهند ، القاهرة ١٩٨٨ ،

ص ٥٠٠ - ٥٠٤.

المصادر ، خاصة فيما يتعلق بموقف الخليفة الوليد من خروج الحملة. فعلى حين أغفلت المصادر الأخرى موقف الخلافة الراض في البداية لخروج هذه الحملة ، نجد الكوفي يذكر أن الوليد رفض في البداية ان تخرج الحملة نظراً للنفقات الطائلة المتوقعة لتجهيزها ، وكذلك بسبب سوء التخطيط في الحملات السابقة ، والذي ترتب عليه فشل هذه الحملات وهزيمتها. وقد رد الحجاج على الوليد برسالة أكد له فيها أن لديه ما يكفي لتجهيز الحملة دون أن يرهق ميزانية الخلافة بأعباء جديدة ، وأن الحملة ضرورية للثأر ممن اعتدى على حرمة المسلمين ، ووعد الخليفة في الختام بأن تدر الحملة على الخلافة أضعاف ما سوف ينفق عليها ، ويبدو أن رسالة الحجاج صادفت هوى في نفس الوليد ، فأعطاه في النهاية موافقته على خروج الحملة^١.

كما ينفرد الكوفي بذكر تفاصيل دقيقة عن التجهيزات التي صاحب الحملة ، والتي بدأت بطلبه من الوليد أن يرسل إليه فرقة من خيرة جند الشام قوامها ٦٠٠٠ مقاتل بكامل عتادهم ، وحرص الحجاج على مراجعة أسماء جنود هذه الفرقة لاستبعاد من لا يثق بهم ، وحين وصلت هذا الجيش للحجاج في العراق ، أرسله لمحمد بن القاسم الذي كان في ولاية فارس في هذا الوقت ، وأرسل معه جنود من العراق مع ٣٠٠٠ جمل لحمل عتادهم ، وحرص على أن يكون في هذا العتاد كل ما قد يحتاجه

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٠١.

الجيش من السلاح والطعام ، كما أمدهم ببعض رؤؤس الفيلة والسباع المصنوعة لكي تستخدم فى خداع جيش السند. وقد أمر الحجاج محمد بن القاسم أن يتحرك براً بالجيش حتى يصل إلى ديبيل ، على أن يرسل له قوة بحرية تدعمه فى الهجوم على المدينة أيضاً من البحر ، وتحمل فى الوقت نفسه بعض الأسلحة كالسهام والرماح ، والمعدات الثقيلة كالمجانيق^١.

وقد أفادتنا المعلومات الوفيرة التى ذكرها الكوفى فى معرفة مدى التنظيم الدقيق للحملة ، وأظهرت حرص الحجاج على إمداد الحملة بكل ما تحتاجه حتى فى أقل الأشياء مثل الإبر والخيط والخل ، وأمدهم بالجمال لأنه يعرف ان الطريق البرى من فارس إلى السند يمر بمنطقة صحراوية. كما أمد الحملة بعض الأسلحة الثقيلة التى تفيد فى الحصار مثل المجانيق ، وفى الوقت نفسه أدرك أن هذه الأسلحة قد تكون عائقاً أمام التقدم السريع للجيوش الإسلامية ، خاصة عبر الطريق البرى المار بصحراء مكران ، لذلك قرر أن تتخذ الحملة الاتجاهين البرى والبحرى ، حيث تحركت جيوش بن القاسم من إقليم فارس ، فى الوقت الذى أرسل له الحجاج قوات مساعدة بجانب الأسلحة والمؤن عبر الطريق البحرى نحو ميناء ديبيل ، لتقابل الجيش الإسلامى هناك.

(١) الكوفى ، فتحنامه، ص ١٠٢-١٠٤.

وهكذا أظهرت تلك الحملة الاستعدادات مدى عبقرية الحجاج وبعد نظره ،
 وظهر ذلك أيضاً فى الجيوش المساعدة التى أرسلها لمحمد ، حيث حرص على أن
 تكون من أهل الشام معقل الأمويين ومستقر حكمهم حتى يضمن بذلك ولأئهم ، ولم
 يعتمد كثيراً على أهل العراق خوفاً من تمردهم ، وحتى لا يتسببوا فى فشل الحملة.

يبقى قبل أن نستعرض وقائع الحملة ، أن نناقش قضية اختلفت فيها المصادر
 وهى سن محمد بن القاسم حين تولى قيادة الحملة على السند. فقد ذكر اليعقوبي^١ أن
 عمره وقتها كان ١٥ عاماً ، بينما ذكر الكوفي^٢ أن عمره كان ١٧ عاماً ، أما
 البلاذري^٣ فلم يذكر عمر ابن القاسم حين تحدث عن ولايته لفارس ثم قيادته للحملة ،
 لكنه فى حديثه عن وفاته ذكر بعض الأبيات الشعرية التى مدحته ، ومنها بيت شعر
 يذكر أن محمد بدأ قيادة الجيوش وهو فى عمر ١٧ عاماً. وبالطبع يبدو هذا التقدير
 من جانب اليعقوبي والكوفي غير صحيح ؛ فمن المعروف أن ابن القاسم قام ببعض

(١) تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٥.

(٢) فتحنامه ، ص ١٠٠.

(٣) وفى ذلك يقول الشاعر :

إن المروة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سودداً من مولد

انظر، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٩.

الحملة في بلاد فارس قبل حملة الهند بعدة سنوات ، ووفقاً لها التقدير فإن عمره وقتها سيكون دون العاشرة تقريباً! وهو أمر مستبعد بالفعل ، والأرجح أن سن (١٧) هو السن الذي تولى فيه ولاية فارس ، أما سنه وقت حملته على السند فكانت بعد ذلك بقرابة عقد كامل ، وعليه فعمره وقت الحملة كان ٢٧ عاماً تقريباً^١. وقد يؤكد هذا الافتراض رواية البلاذري نفسها ، فهو لم يذكر أن سنة كان ١٧ عاماً وقت توليه قيادة الحملة ، رغم أنه استشهد بأبيات شعر بعدها تذكر أنه بدأ قيادة الجيوش في هذا السن ، مما يؤكد أن هذا السن كان مرتبط ببداية توليه ولاية فارس وحملاته في تلك المنطقة.

ج- وقائع الحملة:

الهجوم على ميناء ديبيل :

كان ميناء ديبيل هو الهدف الأول الذي توجهت إليه حملة ابن القاسم ، ونظراً لأنها تعتبر البداية الحقيقية لفتح السند ، فإننا نجد وفرة في المادة التاريخية الخاصة بفتحها ليس عند الكوفي فقط ، ولكن لدى كل من البلاذري واليعقوبي ، مع وجود بعض الاختلافات في بعض الأحداث عند كل من الكوفي والبلاذري.

(١) المباركوري ، العقد الثمين في فتوح الهند وما ورد فيها من الصحابة والتابعين ، القاهرة

وصلت حملة ابن القاسم بالقرب من ميناء ديبيل فى ربيع عام ٩٣هـ/٧١١م ،
كما وصل أيضاً القوة البحرية التى أرسلها الحجاج بعد أن سارت بمحاذاة ساحل
مكران تجنباً للصدام المبكر مع البحرية السندية . وقد قام ابن القاسم بضرب حصار
حول أسوار المدينة التى فوجئ أهلها بمقدم المسلمين ، وتنفيذاً لتعليمات الحجاج تم
حفر خندق حول معسكر الجيش حتى لا يسمح بتسلل أى عناصر سندية ، كما تم
نصب المناجيق استعداداً لذلك المدينة واقتحامها. وكان الحجاج قد أمد الجيش
الإسلامى بمنجنيق ضخيم يسمى (العروس) كان يحتاج ٥٠٠ رجل لنصبه كما ذكرت
المصادر^١.

وقد أصدر الحجاج تعليماته لابن القاسم بعدم مهاجمة المدينة إلا بعد وصول
أوامره. وكان بالمدينة معبداً بوذاً كبيراً وكان بأعلاه برج تعلوه راية ذكر البلاذرى^٢ أنها
حمراء ، بينما ذكر الكوفى^٣ أنها خضراء ، وبالطبع يبدو ما ذكره البلاذري هو الأقرب
للمصواب نظراً لارتباط التقاليد البوذية باللون الأحمر. وكان السكان يعتقدون أن هذا
البرج يحميهم طالما كانت تلك الراية تخفق فوقه ، لذلك قرر ابن القاسم استخدام

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٣ ؛ اليعقوبى ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ ؛ الكوفى ،

فتحنامه ، ص ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦١٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٨.

الحرب النفسية من خلال مهاجمة هذا البرج بقذائف المناجيق في محاولة لإسقاطه للتأثير المعنوي على السكان الذين كان يدين أغلبهم بالبوذية.

وقد اختلف كل من البلاذري والكوفي في الرواية الخاصة بصاحب اقتراح مهاجمة البرج وهدمه ، فقد ذكر البلاذري^١ أن ابن القاسم حين أرسل للحجاج يخبره بوضع المدينة ، أمره الحجاج بتوجيه منجنيق العروس صوب هذا البرج وضربه وإسقاطه ، بينما ذكر الكوفي^٢ أنه أحد البراهمة من سكان المدينة خرج منها وذهب لمعسكر الجيش الإسلامي وأشار على ابن القاسم بضرورة مهاجمة البرج حتى يمكنه اقتحام المدينة. وقد لا نجد تعارضاً بين ما ذكره كل من البلاذري والكوفي ، فربما أشار أحد البراهمة على ابن القاسم بذلك نكاية في البوذيين في ظل الصراع المحتدم بين الطائفتين كما سبق وأوضحنا سابقاً ، ثم عرض ابن القاسم الأمر على الحجاج فوافقه على ذلك.

لم يصمد البرج طويلاً أمام ضربات المسلمين ، وسرعان ما تهاوى أمام تلك الضربات ، وكان لهذا رد فعل سيئ على سكان المدينة فهبطت معنوياتهم مما سهل على المسلمين اقتحام المدينة ، لكن حامية المدينة وواليتها واصلوا المقاومة ، وبعد

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

(٢) فتحنامه ، ص ١٠٩.

قتال شديد تم فتح المدينة عنوة وأمر ابن القاسم بقتل ما تبقى من حاميتها بناء على تعليمات الحجاج، كما قام باقتحام المعبد وقام بقتل اثنان من سدنته كانا يحرضان الرهبان على المقاومة وعفا عن الباقيين.

وقد انفرد البلاذري^١ ببعض التفاصيل عن نتائج فتح الديبل لم ترد لدى الكوفي ومنها ؛ أن ابن القاسم بدأ يتخذ في المدينة نفس الاجراءات الإدارية التي كان يقوم بها المسلمون بعد فتح أى مدينة ، حيث قام بتمصيرها وترك فيها حامية مكونة من أربعة آلاف مقاتل ، وقام ببناء مسجد جامع وخط مساكن جديدة للمسلمين هناك.

على الجانب الآخر انفرد الكوفي^٢ هو الآخر - كعادته - ببعض التفاصيل التي لم ترد في أى مصدر آخر ومنها ؛ أن البرهمى الذى نصح ابن القاسم بتحطيم البرج دل المسلمين على السجون التي يوجد بها أسرى السفن التي هاجمها القراصنة فقام ابن القاسم بفك أسرهم. كما ذكر أن خبر سقوط الديبل حين وصل داهر أرسل لابنه يأمره بترك مدينة نيرون - التي كان من الواضح أنها الوجهة الثانية للمسلمين بعد الديبل - بعد أن يولى عليها حاكم قوى يمكنه الدفاع عنها ثم يتوجه إلى برهمناباد.

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

(٢) فتحنامه ، ص ١١١-١١٣.

فتح نيرون:

تحرك ابن القاسم بعدها نحو مدينة نيرون ، التي يذكرها كل من البلاذري^١ وابن خياط^٢ باسم البيرون ، في حين يذكرها اليعقوبي^٣ باسم النيرون ، أما الكوفي^٤ فيذكرها باسم نيرون ، والاختلاف هنا في حرف واحد فقط ما بين الباء والنون وربما كان ذلك من خطأ النساخ ، والمسمى الصحيح لهذه المدينة هو ما ذكره اليعقوبي والكوفي.

ولم تهتم المصادر السابقة بالحديث طويلاً عن فتح هذه المدينة التي كان يحكمها جيسيه ابن داهر ، بل اكتفت بذكر الفتح في عبارات مقتضبة ، ربما لأن الفتح تم في سهولة ويسر. وعلى العكس من ذلك نجد كثير من التفاصيل لدى الكوفي في حديثه عن فتح هذه المدينة. حيث بدأ بذكر الرسالة التي أرسلها داهر إلى ابن القاسم متوعداً إياه بأن يلقي مصير الحملات الإسلامية الأولى ، وأن نجاحه في فتح مدينة ديبيل يرجع إلى أنها مدينة تجارية وليست قلعة عربية محصنة ، ويحذره

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

(٢) تاريخه ، ص ١٩٣.

(٣) تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٥.

(٤) فتحنامه ، ص ١١٣.

بضروره الرجوع عن بلاده قبل أن ينتقم منه. وقد رد عليه ابن القاسم برسالة قوية ساخرًا من تهديده ومتوعدًا إياه بالهزيمة^١.

تقدم ابن القاسم بجيشه وحاصر مدينة نيرون ، وقد اختلف البلاذري في الجزء الصغير الذى ذكره عن حصار نيرون عما ذكره الكوفي. فقد ذكر البلاذري^٢ أن أهلها كانوا قد ارسلوا وفدًا للحجاج يطلب الأمان ، وحين وصل ابن القاسم عند أسوار مدينتهم استقبلوه بالترحاب وقدموا له ما يحتاجه جيشه من مؤن غذائية وأعلاف الحيوانات فمنحهم الأمان وصالحهم. أما الكوفي^٣ فذكر أن والى المدينة وهو راهب بوذي ذهب إلى داهر ثم عاد عند الحصار وفتح المدينة أمام ابن القاسم وجيشه وأمدهم بما يحتاجونه وقدم لهم الهدايا ، وأعلن أنهم فى خدمة الخلافة والحجاج بن يوسف ، فمنحهم ابن القاسم الأمان ثم قام ببناء مسجد جامع فى المدينة.

وتبدو هنا رواية البلاذري هى الأقرب للصحة وتستقيم مع طبيعة الأحداث بعكس ما ذكره الكوفي ، فليس من المعقول أن يذهب وال المدينة إلى داهر ثم يعود ويسلم المدينة بسهولة إلى ابن القاسم ، لكن الطبيعى أن أهل المدينة البوذيين- وكانوا فى الأصل يبغضون الحكم البرهمى الممثل فى داهر - يرحبون بالفاتح الجديد،

(١) فتحنامه ، ص ١١٣-١١٥.

(٢) فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٧-١١٨.

فأرسلوا للحجاج يطلبون الأمان قبل مقدم الجيش الإسلامي نحو مدينتهم ، فلما حضر ابن القاسم احسنوا استقباله وحصلوا على الأمان الذي طلبوه.

ولكى نفسر هذا السلوك من جانب البوذيين لابد أن يكون ذلك فى إطار رد فعل كل من السلطات الحاكمة والسكان المحليين تجاه الفتح الإسلامى ، فكما ذكرنا كان الصراع محتتماً بين البراهمة والبوذيين ، ورغم أن غالبية السكان كانوا من البوذيين فإن السلطة كانت فى أيدى البراهمة ، وأتبع هؤلاء سياسة جائرة ضدهم ، ومن هنا كان هناك نفور دائم بين البراهمة من الأرستقراطية الحاكمة وعامة الشعب من البوذيين ، وجاء هذا التنافر فى صالح المسلمين ، لذلك كانت بعض العناصر المحلية لا تقاوم الفتح الإسلامى على الإطلاق ، بل رحبوا بالحملات الإسلامية وساعدوها فى بعض الأحيان. وهكذا كانت السلطات الحاكمة من البراهمة تقاوم الفتح الإسلامى بشدة ، أما غالبية السكان من البوذيين فقد رحبوا بالفتح وفى هذا الإطار يمكن تفسير سلوكهم تجاه ابن القاسم^١.

(١) محمد نصر ، الوجود الإسلامى فى الهند ، ص ٢٩ ؛

فتح سيوستان^١:

يكاد الكوفي ينفرد بذكر كل تفاصيل فتح هذه المدينة ، فالإشارات الموجودة لدى كل من البلاذري واليعقوبي مقتضبة إلى حد الغموض ، لذا سنبدأ باستعراض وقائع الفتح من خلال ما ذكره الكوفي ، ثم نقارن ذلك بالإشارات المقتضبة التي وردت في المصادر الأخرى.

تحرك ابن القاسم نحو سيوستان التي كان يحكمها ابن عم داهر حاكم السند ، وقد حاول سكانها من البوذيين إثناء حاكمها عن مقاومة الجيش الإسلامي ولما فشلوا في ذلك أرسلوا إلى ابن القاسم يعلنوا ترحيبهم به ورفضهم للمقاومة. وبعدها ضرب ابن القاسم حصاراً قوياً حول المدينة ، ولما شعر حاكمها بوطأة الحصار قرر الفرار من المدينة فسقطت في أيدي المسلمين. ثم توجه بعدها لحصار حصن (سيوبس) فسارع أهلها البوذيين إلى إرسال مندوب عنهم يعلن ترحيبهم بقدومه على غرار ما فعله أقرانهم في سيوستان^٢.

(١) وتسمى أيضاً سدوستان ، وتقع على الجانب الغربي لأحد روافد نهر السند. انظر ، ابن

حوقل، صورة الأرض ، ص ٢٧٦.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١١٩-١٢١.

وبعدها توجه ابن القاسم لمنطقة البدهة^١ المجاورة لسيوستان ، وقد تحرك سكان المدينة من البوذيين وحاولوا اقناع حاكمها وكان يدعى كاكّا كوتال بعدم المقاومة ، وادعوا أن هناك نبوءة قديمة تبشر بفتح السند على أيدي المسلمين ، وتردد كاكّا في البداية لكنه تحت ضغط البراهمة في مدينته سمح لجيش من قواته بالخروج لقتال المسلمين ، لكن الجيش أصابته عوارض غريبة أدت لتفرقه وتشتته قبل أن يواجه المسلمين فاقتنع الحاكم تماماً بصدق النبوءة وقام بتسليم المدينة لابن القاسم^٢.

تلك كانت تفاصيل فتح هذه المدينة وتخومها من خلال رواية الكوفي ، أما ما ذكره البلاذري^٣ فكما ذكرنا كان مقتضياً ، حيث ذكر أن الرهبان البوذيين في حصن (سريديس) تصالحوا مع ابن القاسم واستسلموا له ، ثم انطلق إلى مدينة (سهبان) ففتحها ، كما أرسل فرقة من جيشه إلى سدوستان فطلب أهلها الأمان والصلح فأمنهم وولى علي المدينة رجلاً من رجاله. أما اليعقوبي فلم يذكر سوى عبارة واحدة :

(١) وتقع إلى الغرب من نهر السند ما بين مدينتي مكران ومولتان. انظر ، الاصطخري ، المسالك

والممالك ، ص ١٧٦.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٢٢-١٢٤.

(٣) فتوح البلدان ، ص ٦١٥.

" وسار إلى سهيان ففتحها "١. ومن الواضح هنا أن سريديس هي تحريف لكلمة سيوبس التي ذكرها الكوفي ، وهذا الحصن يقع في مدينة سيهان ، والاثنان يقعان في منطقة البدهة التي سبق ذكرها. أما ما ذكره البلاذري عن الفرقة التي أرسلها ابن القاسم إلى سيوستان فلم يكن يقصد به أنها المرة الأولى التي يصل إليها المسلمون بل كانت بعد أن فتحها المسلمون ثم حدث تمرد من بعض أهلها بعد أن تركها ابن القاسم وهذا ما نفهمه من كلام الكوفي ، وبذلك يكون البلاذري قد اغفل تواجد الجيش الإسلامي في سيوستان في المرة الأولى. وهكذا نرى أن كل من البلاذري واليعقوبي لم يذكر الكثير عن فتح هذه المدينة وما ذكره كان باقتضاب شديد.

ونلاحظ هنا استمرار الترحيب من جانب البوذيين في السند بالفاتحين المسلمين وهو أمر سبق وأن فسرناه بالمعاناة العنصرية التي كانوا يلاقونها في ظل حكم البراهمة. كما نلاحظ هنا ظهور نبوءة التبشير بالفتح الإسلامي للسند ، وهي نبوءة ستظهر عند فتح كثير من مدن السند ، وربما كان تفسير هذه النبوءة هي رغبة البوذيين في الخلاص من حكم البراهمة المستبد.

الصدام مع داهر:

على الرغم من توغل الجيش الإسلامي في السند ، والمعارك الكثيرة التي خاضها هناك ، إلا أن الجيش الإسلامي حتى هذا الوقت لم يكن قد اصطدم بداهر ملك السند مباشرة. وقد مر الصدام مع داهر بمرحلتين ؛ الأولى دارت فيها المفاوضات بين الطرفين قبل عبور الجيش الإسلامي لنهر السند ، والمرحلة الثانية هي المعركة الفاصلة التي اصطدم فيها ابن القاسم بداهر. وقد تحدث البلاذري عن المرحلة الأولى بعبارة مقتضبة: " ثم إن محمداً احتال لعبور مهران حتى عبره مما يلي بلاد راسل ملك قشة من الهند على جسر عقده"^١. وكما نرى فإن عبارة البلاذري مقتضبة لكننا نجد تفسير لها مع تفاصيل أكثر عن هذا الحدث لدى الكوفي الذي ذكر أن الحجاج أرسل لابن القاسم يأمره بعبور نهر السند وقتال داهر ، وقد ساعدت الظروف ابن القاسم في التعجيل بهذا الأمر ، فرغم أن المنطقة المجاورة للنهر والتي يمكنه العبور منها وتسمى كشها^٢ ، كانت تخضع لملك يدعى (راسل بساية) وهو من الرجال المخلصين للملك داهر ، ألا أن أخو هذا الملك ويدعى (موكا بساية) لم يكن مقتنعاً بمقاومة المسلمين نتيجة النبوءة التي راجت في السند حول انتصار المسلمين

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٥.

(٢) وتسمى أيضاً كوشة ، وهي جزيرة دلتا مجاورة لنهر السند. انظر ، ابن حوقل ، صورة الأرض

المحتوم ، فأرسل لابن القاسم يعلن خضوعه له لكنه طلب منه أن يكون خضوعه بشكل غير مباشر حتى لا يلحق العار بسمعة عائلته ولأن أخاه راسل ما زال على ولائه للملك داهر، واتفق معه على ان يخرج فى جمع قليل من رجاله فيتعرض له المسلمون ويأسرونه وبذلك يكون من المنطقى خضوعه لابن القاسم. وبالفعل تم تنفيذ ذلك وفى النهاية قدم موكا لابن القاسم ما يحتاجه جيشه من مئونة ، بل ودله على أفضل منطقة يمكنه منها أن يعبر نهر السند ، وأمدّه بالقوارب التى تعين رجاله على عبور النهر بسهولة. وقد استشار داهر كل من وزيره ومحمد العلافى حول سبل مواجهة ابن القاسم ، فأشار عليه العلافى بضرورة ألا يسمح لجيش ابن القاسم بعبور النهر وأن عليه أن يبادر بالعبور قبله ، بينما أشار عليه وزيره بالبقاء فى مكانه وانتظار عبور ابن القاسم حتى يكون مستعداً له بشكل كامل ، وقد فضل داهر رأى وزيره ومكث فى عاصمته الرور ولم يحاول أن يمنع ابن القاسم من عبور نهر السند^١.

ونلاحظ فى هذه المرحلة أن تأثير النبوءة التى بشرت بانتصار المسلمين وفتح السند على أيديهم قد انتقل تأثيرها من عامة البوذيين إلى السلطة الحاكمة من البراهمة أنفسهم ، ولا شك أن ذلك قد ساهم بشكل كبير فى نجاح عمليات فتح السند.

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٣٢-١٤٩.

وقد رأى أحد الباحثين^١ أن هذه النبوءات التي بشرت بالفتح العربى للسند صنعت بواسطة البوذيين لمصلحة المسلمين نكاية فى حكم البراهمة. ورأى باحث آخر^٢ أن خضوع كل من كاكا وموكا لنفوذ المسلمين مرجعه هو الطموح السياسى والرغبة فى الاحتفاظ بسلطانهم ، لقناعتهم الشديدة بأن المسلمين هم الجانب المنتصر. كما أن خضوع البوذيين للمسلمين لم يكن يعنى ذلك أنهم قد دخلوا فى الإسلام ، بل كان مجرد خضوع سياسى للفتح المسلم ، لا يتضمن بالضرورة تغيير معتقداتهم الدينية.

والرأى الأول قد يبدو فيه بعض الصحة لكنه أغفل جانباً آخر وهو أن هذه النبوءة أقر بها البراهمة أيضاً ، فحين سأل داهر منجميه وكهنته وهم من البراهمة عن مصير معركته مع ابن القاسم أخبروه بأن هناك نبوءة تبشر بالفتح الإسلامى للسند^٣. أما الرأى الثانى فقد يكون واقعياً فى بداية الفتح لكن الأمر سرعان ما تغير واقبل البوذيون على الإسلام ، يدل على ذلك تحول غالبية السكان للإسلام فيما بعد.

أما عن المعركة الفاصلة بين الطرفين فقد اكتفى البلاذري^٤ بذكر أنه وقعت معركة حامية الوطيس بين جيش المسلمين وجيش داهر انتهت بهزيمة الأخير ومقتله

(1) Qureshi, The Muslim Community, p.39.

(2) Friedmann , " The Early History of Islam in India ",p.326.

(٣) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٩ .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٦١٥ .

، وذلك دون أن يعطي تفاصيل وافية عن المعركة ومقدماتها ، وقد اتفق معه اليعقوبي في ذلك^١. على الجانب الآخر يمدنا الكوفي^٢ بتفاصيل وافية عن المعركة ومقدماتها ، بداية من قيام ابن القسم بتكوين جسر من السفن عبر نهر السند ليعبر عليه جنوده مرة واحدة بدل من العبور في السفن متفرقة ، ثم استخفاف داهر بابن القاسم وعدم توقعه لهذا لعبور السريع وإرساله ابنه جيسيه بجيش لمواجهة ابن القاسم وفشله في هذا الأمر ، مما جعله في النهاية يخرج بنفسه على رأى جيش ضخم مدجج بالأسلحة والعتاد. وقبل المعركة المرتقبة انضم راسل إلى أخيه في طاعة ابن القاسم ، حيث أرسل لابن القاسم يطلب الدخول في طاعته بنفس الطريقة التي فعلها أخوه موكا ، حيث ادعى أنه ذاهب لمقابلة داهر فتعرض له في الطريق رجال ابن القاسم وأسروه ، وانضم بذلك للمعسكر الإسلامي. ويبدو أن راسل أدرك أخيراً صحة ما أقدم عليه أخوه ، وأن المستقبل سيكون في جانب المسلمين فقرر الانضمام إليهم في النهاية.

على الجانب الآخر وبعد أن فوجئ داهر باجتياز المسلمين النهر، كان عليه خوض غمار موقعة حاسمة يتوقف عليها مصير مملكته كلها ، وبعد مناوشات طويلة وفي شهر رمضان من عام ٩٣هـ بدأت وقائع المعركة الفاصلة التي حشد فيها داهر

(١) تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٧.

(٢) فتحنامه ، ص ١٤٦-١٧٧.

كافة أسلحته ، واستمرت المعركة طيلة عشرة أيام ما بين كر وفر من الجانبين ، حتى انتهت بانتصار ساحق للمسلمين ومقتل داهر نفسه فى المعركة^١.

وقد برز خلال هذه المعركة الحاسمة مدى دعم الحجاج ومتابعته لقائده الشاب ، فقد كان حريصاً من خلال الرسائل المتبادلة بينهما على إسداء النصح له وتغنيفه فى بعض الأحيان حين كان يتقاعس عن تنفيذ أوامره ، كما كان يحرص على مد الجيش بكل ما يحتاجه ، وحين أصابت جيش بن القاسم ضربة موجعة حين نفقت أغلب الخيول المصاحبة للجيش مما أدى لاضطراب فى أحوال المسلمين ، سارع بإرسال ألفى فرس على الفور حتى لا يؤثر ذلك على قوة جيش ابن القاسم^٢. ومن المعروف أن الخيل لم تكن تصلح للعيش طويلاً فى بيئة السند ، إذ يذكر العمري^٣: " أن الخيل إن طالت إقامتها بالهند انحلت وأكثرها مما لا يحمد فعله ، لذا كان يتم

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ج ٣ ، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات ، الإمارات

جلب الكثير من الخارج ". وبالفعل كانت الخيول هي إحدى السلع الهامة التي كانت تستوردها السند من شبه الجزيرة العربية^١.

فتح برهمناباد

بعد مقتل داهر تزعم ابنه جيسيه المقاومة ضد الفاتحين المسلمين ، فاتجه إلى مدينة برهمناباد وتحصن بها ، وكان على ابن القاسم أن يطارده وفقاً لتعليمات الحجاج فتقدم بجيشه وقام بحصار المدينة. وفي كلمات قليلة يذكر البلاذري^٢ أن ابن القاسم دخل في معركة حامية الوطيس ضد حامية المدينة حتى فتحها عنوة وسقط الكثير من أهلها ما بين قتل وأسير. أما الكوفي فيذكر رواية مختلفة نوعاً ما عن البلاذري مع تفاصيل وافية كعاداته ، حيث يذكر أن جيسيه لما رأى قوة الحصار حول مدينته تركها وخرج ليطلب مساندة باقى الأمراء الهنود ، وأن كبار التجار بالمدينة اجتمعوا واتفقوا على مراسلة ابن القاسم وتسليم المدينة له لما رأوا عدم جدوى الحصار ، واتفقوا معه على أن يتم الأمر بشكل غير مباشر خوفاً من اتباع جيسيه ، فزعموا أنهم سيخرجون لقتال ابن القاسم ثم ينسحبوا ويتركوا باب المدينة ليدخل منه

(١) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٦٧ ؛ السيرافى ، رحلة السيرافى ، بغداد ١٩٥٦ ،

ص ١٤٧ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٦١٦ .

بسهولة ، وبالفعل نفذوا وعدهم ودخل ابن القاسم المدينة ثم اشتبك مع اتباع جيسيه وقتل بعضهم قبل أن يستسلموا له.

وقد حدث تغيير جذري في موقف البراهمة تجاه ابن القاسم ، فبعد فتح المدينة توجه إليه كبار رجال المدينة من البراهمة وطلبوا الأمان ، وكدليل على صدق تعاونهم قاموا بتسليمه أرملة داهر راني لادي ، ولم يخيب ابن القاسم رجائهم ، ومنحهم الأمان بجانب حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، بل زاد على ذلك بحفاظه على مكانتهم الاجتماعية وأبقى على بعضهم في مناصبهم القديمة ، بل وقام تعيين بعضهم كجباة للجزية في المناطق المفتوحة^١.

ولا شك أن موقف البراهمة هنا في الترحيب بالفاطحين المسلمين كان مختلفاً عن موقف البوذيين ، فإذا كان البوذيون قد رحبوا بالفتح رغبة منهم في التخلص من حكم البراهمة المستبد ضدهم ، فإن البراهمة هنا وقد أدركوا عجزهم عن مقاومة الفاتحين المسلمين ، اتجهوا للتفكير بشكل عملي للاستفادة من الأوضاع الجديدة خوفاً على مكانتهم القديمة.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٨٤-١٩١.

فتح الرور

كانت الرور حاضرة مملكة السند ومقر ملوكها لفترات طويلة ، وكان سقوطها هو المسمار الأخير في نعش حكم أسرة داهر ، لذلك حرص ابن القاسم على تركيز جهوده في حصار تلك المدينة مستغلاً غياب جيسيه عنها. وقد أشار البلاذري لفتح هذه المدينة إشارة عابرة بذكر أنها فتحت صلحاً ، وأنه أبقى على معبد المدينة البوذي وأعتبر أهلها من ضمن أهل الذمة بقوله " ما البد إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس "١.

على الجانب الآخر نجد لدى اليعقوبي والكوفي مزيد من التفاصيل عن فتح هذه المدينة ، فقد ذكروا أن أهل المدينة قاوموا بشدة في البداية جيش ابن القاسم ظناً منهم أن داهر ما زال على قيد الحياة وسوف يحضر لنجدهم ، وهنا قام ابن القاسم بالاستعانة بزوجة داهر لكي تقنع سكان المدينة بموت زوجها ، لكنهم لم يصدقوها وظنوا أنها تأثرت بوجودها في أسر العرب ، ثم قاموا بأمر أخير وهو استشارة ساحرة المدينة في مسألة موت داهر فأخبرتهم أنه مات بالفعل. وأدى خبر موت داهر ، بجانب قوة حصار ابن القاسم للمدينة إلى التأثير النفسي على سكانها ، مما دفعهم

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٦.

لطلب الصلح منه مع عهد الأمان ، وقد قبل ابن القاسم الصلح ودخل المدينة بسهولة وعفا عن أهلها.

وواقع الأمر أن جيش ابن القاسم اكتسب سمعة هائلة سواء من حيث قوته أو معاملته الطيبة لسكان السند ممن أحسنوا استقباله ، وأصبح سكان السند يرحبون به ويحتفون بمقدمه بصورة لم يألّفها أى فاتح من قبل ، فأتثناء تحركه نحو مدينة الرور عرج فى طريقه على مواطن قبائل الساما ، وفور ظهور طلائع الجيش الإسلامى بدأ أفراد هذه القبائل يدقون الطبول ويعزفون ويرقصون احتفالاً وترحيباً بابن القاسم ، وعندما استفسر الأخير عن تلك الضوضاء أخبروه أنها عادة القبائل فى ترحيبها بالحاكم الجديد^١.

وقد يبدو ما ذكره البلاذري غريباً فى مساواة ابن القاسم سكان السند الوثنيين بأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والإبقاء على معابدهم الوثنية رغم أنه دمرها فى الديبل ، ولكن يمكننا أن نتفهم هذا الوضع فى ضوء أن المدينة فتحت صلحاً دون قتال أو خسائر فى الجيش الإسلامى. أما على الجانب الآخر من الأمر وهو اعتبارهم كأهل ذمة وبالتالي تركهم يؤدون شعائر دينهم مقابل أداء الجزية ، فإن ذلك يجب أن ننظر إليه فى ضوء أن الفقه الإسلامى طور هذا المنظور ليلائم الوضع الجديد فى

(١) اليعقوبى ، تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ ؛ الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢٠٠-٢٠٥.

الدولة الإسلامية ، فنجد مثلاً فى هذا الصدد نصاً يقول " وجميع أهل الشرك من المجوس ، وعبد الأوثان ، وعبد النيران ، والصابئين ، والسامرة ، تؤخذ منهم الجزية ، ما خلا أهل الردة من أهل الإسلام ، وأهل الأوثان من العرب ، فإن الحكم فيهم أن يعرض عليهم الإسلام ، فإن أسلموا وإلا قتل الرجال منهم وسبى النساء والصبيان " ١ .

فنطاق الجزية هنا اتسع ليشمل عناصر أخرى من غير أهل الكتاب ، وتلك نظرة متطورة للفقهاء الإسلامى تلائم الوضع الجديد داخل الدولة الإسلامية ، فى بلدان كان غير أهل الكتاب فيها أكثرية ، ولا يمكن قهرهم بالقوة . لذا فإن أحوالهم بهذا تكون أفضل من أهل الكتاب ، فلا هم أسلموا ، ولا هم قاموا بدفع الجزية ٢ . وليس هناك ما يمكن أن يعبر عن هذا المنظور أفضل مما جاء لدى أحد كبار الفقهاء المسلمين إذ يقول : " إن عبدة الأوثان إذا كانوا أمة كبيرة لا تحصى كالهند وغيرهم ، حيث لا يمكن استصلاحهم بالسيف ، فإذلالهم وقهرهم بالجزية أقرب لعز الإسلام وأهله وقوته من إبقائهم بغير جزية ، فيكونون أحسن حالاً من أهل الكتاب . وسر

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١٣٩ .

(٢) محمد نصر عبد الرحمن ، الوجود العربى فى الهند ، ص ١٦٦ .

المسألة أن الجزية من باب العقوبات ، لأنها كرامة لأهل الكتاب فلا يستحقها سواهم" ^١.

فتح مولتان

مع مطلع عام ٩٥٥هـ / ٧١٣م استعد ابن القاسم بعد ذلك لخطوة هامة في طريق الفتح الكامل للسند وهي فتح مدينة مولتان ، التي عدت من أعظم مدن السند وأحصنها ، بجانب كونها العاصمة الدينية للمملكة وقبله الحجاج البوذيين من شتى أنحاء الهند ، لذا كان من الطبيعي أن تقاوم هذه المدينة بضراوة. وقد انفرد كل من البلاذري والكوفي بذكر تفاصيل فتح هذه المدينة ، وتتشابه لديهما خطوات فتحها مع اختلاف بسيط في بعض التفاصيل الخاصة بفتح المدينة. وقد ذكر البلاذري ^٢ أن المسلمين حاصروا المدينة حصاراً طويلاً أدى إلى نقص الإمدادات الغذائية معهم ، واضطروهم ذلك إلى أكل لحوم بعض الحمير المصاحبة للحملة إنقاذاً للموقف ، وسرعان ما جاء رجل من سكان المدينة ودل المسلمين على طريقة للضغط على سكان المدينة لفتح المدينة ، حيث ذكر لهم أن هناك فرع من نهر يدخل المدينة وهو مصدر حصولهم على الماء وقام ابن القاسم بحجز مياه هذا النهر مما أدى لقطع

(١) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ١٧ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٦١٧ .

إمداد المياه عن المدينة واستسلام أهلها. وقد اختلف الكوفى^١ فى روايته عن البلاذري فيما يخص ما ذكره هذا الرجل وطريقة اقتحام المدينة ، حيث يذكر أن الرجل دلهم على مكان يمكنهم فيه نقب سور المدينة بسهولة ونجح المسلمون بعد ثلاثة أيام من نقب السور والدخول الى المدينة.

وقد اتفق المؤرخان فى روايتهما على موقف ابن القاسم من سكان المدينة ، فنظراً للمقاومة الشديدة التى أبدتها حامية المدينة وكثرة خسائر المسلمين أثناء حصار واقتحام هذه المدينة فقد أصدر ابن القاسم حكمه بقتل من تبقى من حامية المدينة ، كما قام بأسر السدنة البوذيين الذين استماتوا فى الدفاع عن مدينتهم بوصفها أهم معقل البوذية فى السند.

ووجد المسلمون فى تلك المدينة تعويضاً عن تلك النفقات الباهظة التى تكلفتها هذه الحملة ، حيث اعتاد الحجاج الهنود من زائرى المدينة أن يضعوا فى معبدها نذورهم من الذهب والجواهر ، وبلغ من كثرة ما غنمه المسلمون من تلك المدينة أن أطلقوا عليها فرج بيت الذهب^٢.

(١) فتحنامه ، ص ٢١٤.

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٧٤-١٧٥.

وقد ابقى ابن القاسم على المعبد الرئيسى للمدينة وتمثال بوذا الذى يتوسطه دون أن يقوم بتحطيمهما كما فعل فى مدن سابقة ، وقد اختلفت الروايات فى تفسير هذا السلوك من جانب ابن القاسم ، فالبلاذري^١ لم يذكر مصير المعبد والتمثال واكتفى فقط بذكر أن المسلمين استولوا على الذهب الموجود به ، أما الكوفي^٢ فذكر أن ابن القاسم ازاح التمثال فقط من مكانه ليحصل على ما أسفله من ذهب وجواهر قد اخبره بوجودها أحد البراهمة. أما ابن الجوزي^٣ فقد ذكر أن سكان مولتان عرضوا على ابن القاسم ثلث دخل المعبد مقابل الابقاء على المعبد والتمثال ، وأنه أرسل للخليفة الأموى يشاوره فى ذلك فأعطاه موافقته على الأمر. أما البيروني^٤ فقد ذكر أن ابن القاسم أبقى على تمثال مولتان المقدس ، واكتفى بوضع قطعة من اللحم فى عنقه على سبيل التحقير.

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٧ .

(٢) فتحنامه ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٣) تلبيس إبليس ، تحقيق محمد الصباح ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٠ .

(٤) البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مردولة ، تحقيق ساخو ، فرانكفورت

١٩٩٣ ، ص ١١ .

وقد فسر بعض الدارسين المحدثين^١ سلوك ابن القاسم هذا من منظور مادي بحت ، حيث رأوا أن الدافع المادي كان المحرك الأول لهذا السلوك ،حيث كان المعبد والتمثال مصدر دخل كبير للمدينة لقداسته عند البوذيين. كما يستدلون على ذلك أيضاً بأنه حطم العديد من المعابد الأخرى فى ديبيل وقتل الكثير من سكان برهمناباد ولم يتركهم كما فعل مع مولتان ، بالرغم من تشابه حالات المقاومة والفتح عنوة.

ونحن لا ننكر ذلك ، لكن الدافع المادي لم يكن وحده السبب فى ذلك ، إذ كان هناك أيضاً الدافع الاستراتيجى ، وكذلك العمل على ائتلاف قلوب الهنود بتلك السياسة أيضاً . أما بالنسبة لمقارنة تلك الحالة مع ما حدث فى ديبيل وبرهمناباد ، فالواقع أن الأمر كان مختلفاً ، فخلال حصار ديبيل بدا أن هدم المعبد هو الحل الأمثل لكسر شوكة المدينة ، التى كان من الضرورى فتحها ، بوصفها أول ميناء هندى قابل المسلمين . أما برهمناباد فقد تحصن بها من تبقى من قوات داهر ، وقاوموا مقاومة

(١) عن هذا الرأى انظر:

Friedmann, “ The Temple of Multan, A Not on Early Muslim Attitudes to Idolatry”, *IOS*, 2 (1972),, p.178; Nigam, “ Religious Attitudes of Muslim Rulers in India (711 A.D - 1388 A.D)”, *Islamic Culture*, 56 (1982), p.97.

شديدة ، لذلك كان من الطبيعي أن يسقط الكثير من القتلى من الجنود فيها . كما أن هؤلاء المؤرخين تجاهلوا السلوك السلمى لابن القاسم تجاه مدن أخرى^١.

د- نتائج الحملة

حققت حملة ابن القاسم خلال تلك الفترة نجاحاً كبيراً ، فقد خضعت غالبية مملكة السند لسلطان المسلمين ، وبدأ أن الحملة تسير بخطى ثابتة نحو الفتح الكامل للسند. ورغم وفاة الحجاج بن يوسف المفاجأة ، والتي بلا شك ألقت بظلالها على الحملة بوصفه المحرك الأساسى لها ، ومن كبار الداعمين لقائدها الشاب محمد بن القاسم ، رغم ذلك واصل ابن القاسم جهوده فى فتح ما تبقى من السند ، حيث أرسل حملة ضد مملكة كيرج^٢ والتي كان يحكمها أحد أفراد عائلة داهر ويسمى (دوهر)، والتي كانت أيضاً معقل القراصنة الهنود واستطاع أن يخضعها لسلطانه ، وبذلك وصل بنفوذ المسلمين حتى حدود كشمير فى الشمال^٣. وقد أكتفى الكوفي^٤ فى تأريخه لتلك

(١) محمد نصر ، الوجود العربى فى الهند ، ص ١٦٧.

(٢) وكيرج هى الصفة المعربة لكيره ، وتقع الآن على بعد عشرين ميلاً إلى الغرب من أحمد آباد، وللمزيد من التفاصيل عنها انظر ، المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد

محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٤٦ ، ج ١ ، ص ١٦٩.

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٦.

(٤) فتحنامه ، ص ٢١٨.

الحملة بذكر أن محمد بن القاسم وصل إلى الحدود مع كشمير وقام بتجديد خط الحدود الذي سبق وأقامه الملك چچ.

ويبدو أن حملة ابن القاسم على السند والتي استغرقت قرابة أربع سنوات ، امتدت من أواخر عام ٩٢هـ/ ٧١٠م حتى عام ٩٦هـ/ ٧١٤م ، وفتح خلالها معظم مملكة السند ووصل حتى الحدود الجنوبية لمملكة كشمير ، وكانت بلا شك من أنجح الحملات الإسلامية. يبدو أن القدر قد وضع نهاية مأساوية لتلك الحملة وقائدها ، حيث لقي قائدها مصيراً غير متوقع بعد كل هذا النجاح ، ولم تشفع له كل هذه الانتصارات في الفرار من مصيره المحتوم.

وقد اختلفت مصادرنا في الحديث عن نهاية هذا القائد وحملته ، فالكوفي^١ يذكر رواية ينفرد بها عن غيره أدت لمقتل ابن القاسم ، حيث يذكر أن ابن القاسم بعد أن أسر ابنتي الملك داهر أرسل بهما أسيرتين للخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق ، وقد انجذب الخليفة لإحدى البنيتين وحاول التقرب منها فأبت وادعت أن ابن القاسم احتجزها عنده وأعتدى عليها ، وبالتالي فإنها لا تليق الآن بمقام الخليفة الذي استشاط غضباً من سلوك ابن القاسم وأرسل يأمر بوضعه في صندوق من الجلد وإحضاره إليه على وجه السرعة ، وقد قضى القائد الشاب نحبه أثناء الرحلة من

(١) فتحنامه ، ص ٢١٩ - ٢٢٢

السند إلى دمشق. وبعد ذلك أنكرت ابنة داهر ما حدث واعترفت أنها ادعت ذلك انتقاماً لما فعله بأبيها ومملكته فاستشاط الخليفة غضباً وأمر بقتل الأختين.

على الجانب الآخر يذكرى البلاذري^١ وينقل عنه ابن الأثير^٢ رواية مختلفة تماماً عن رواية الكوفي ، حيث ذكرا أن بعد وفاة الوليد وتولى سليمان بن عبد الملك قام بعزل ابن القاسم ، وولى مكانه يزيد بن أبي كبشة السكسكى^٣ على السند ، فقام بالقبض على ابن القاسم وأرسله إلى العراق ، وعندما وصل ابن القاسم إلى العراق وكان واليها يحقد على الحجاج لأنه قتل أخاه فقام بتعذيب ابن القاسم مع بعض أهله حتى قتلهم جميعاً. بينما يذكر اليعقوبى^٤ أن الذى قبض على ابن القاسم هو والى الذى جاء بعد يزيد السكسكى ويدعى حبيب بن المهلب^٥.

(١) فتوح البلدان ، ص ٦١٨.

(٢) الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٧.

(٣) هو يزيد بن أبي كبشة بن يسار بن حى ، وينتهى نسبه إلى معد يكرب بن عريف بن السكسك ، من أهل دمشق ، وتوفى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، انظر ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٣٢.

(٤) تاريخه ، ج ٢ ، ص ٣٦٥.

(٥) هو حبيب بن المهلب بن أبي صفرة بن سراق بن صبح بن كندى بن عمرو بن وائل من الأزد. انظر ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٩.

وتبدو رواية الكوفي غير مقنعة ، خاصة وأن الثابت تاريخياً أن الذي عزل ابن القاسم هو سليمان بن عبد الملك وليس الوليد. وتبدو هنا رواية البلاذري وباقي المؤرخين مقبولة إلى حد كبير ، فنظراً للخلاف القديم بين سليمان والحجاج ، ومرجع هذا الخلاف أن الوليد رغب في عزل أخيه سليمان عن ولاية العهد وأيده الحجاج في ذلك ، لذلك أسرها سليمان في نفسه ولم يبدها إلا بعد وفاة الوليد ، لذا انتقم من رجال الحجاج وقام بعزل كافة رجاله^١. ولم يكن ابن القاسم وحده ضحية هذا الخلاف ، فلم يكن مصير القائد قتيبة بن مسلم الذي كان يقود الفتوحات في الصين أفضل منه ، وحتى موسى بن نصير في الأندلس لم تكن معاملته أحسن حالاً ممن سبقوه ، وزاد الطين بلة أن حاكم العراق الجديد كان موتوراً من الحجاج ، لذلك لم يكتف بعزل بن القاسم بل قام بالقبض عليه وتعذيبه ، ثم قتله بعد ذلك عام ٩٦هـ / ٧١٤م.

مما سبق يظهر لنا أن مقارنة روايات فتح السند التي وردت لدى الكوفي ولدى باقي المؤرخين كالبلاذري واليعقوبي وابن خياط وغيرهم ، توضح إلى مدى بعيد الثراء النصي الذي تميزت به روايات الكوفي التي كانت تزخر بالتفاصيل والأحداث وتسهب فيها على العكس من المصادر الأخرى ، مما كان يساهم في كثير من الأحيان في استجلاء غموض بعض الأحداث التي وردت في هذه المصادر ، واستكمال جوانب النقص فيها.

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٩٩ .

وكانت روايات الكوفي تتفق في كثير من الأحيان مع روايات المصادر الأخرى في طبيعة الأحداث ، لكن ذلك لم يمنع وجود بعض الاختلافات في بعض هذه الأحداث والتفصيلات ، هذه الاختلافات التي أحياناً ما تكون صحتها متفقة مع ما جاء لدى الكوفي ، وأحياناً أخرى كانت روايات ابن الكوفي بجانبها الصواب.

وبوجه عام فإن التفاصيل الدقيقة التي وردت لدى الكوفي ، صنعت فارقاً كبيراً في تأريخ أحداث فتح السند خلال العصر الأموي ، خاصة فيما يتعلق بحملة محمد بن القاسم.

الفصل الثالث

منهج الكوفى فى كتاب فتحنامه ومصادره

أولاً : حياته وأعماله

ثانياً: مصادره

ثالثاً: منهجه التاريخى

صاحب كتابنا هو على بن حامد أبو بكر الكوفي ، الذى يبدو من أسلوبه فى الكتاب أنه كان أديباً ، ولا نعرف الكثير عن حياته أكثر مما ذكره هو عن نفسه فى مقدمة كتابه ، فلا نعلم تاريخ تواجده بالسند ، أو سبب هجرته إليها ، أو أي تفاصيل أخرى عن حياته السابقة لتأليف الكتاب ، باستثناء الكلمات البسيطة التى وصف بها حياته قبل أن يشرع فى وضع هذا الكتاب^١.

وقد ذكر أنه عاش الجزء الأكبر من حياته ، حياة كريمة فى موطنه الأول الذى لم يحدده ، وإن كان لقبه الكوفي يشير بوضوح إلى جذوره العراقية ؛ ثم وقعت له حادثة مؤلمة - لم يذكر تفاصيلها - تسببت فى قلب حياته رأساً على عقب ، وحولتها من رغد العيش إلى حياة قاسية صعبة ، أجبرته على ترك موطن سكناه ، فقرر الانتقال إلى منطقة (أوجه)^٢ بالسند ، ليعيش بقية حياته بها^٣.

(1) Ahmed, M., " The long Thirteenth Century of the Chachnama ",
The Indian Economic and Social History Review, 49, 4 (2012),
 p.464.

(٢) هى مدينة كبيرة على نهر السند. عنها انظر: ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار

وعجائب الأسفار ، ج ٣ ، تحقيق: عبد الهادي التازي ، الرباط ١٩٩٧ ، ص ٨٧.

(٣) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٣٠.

وفى بلاط حاكم السند وجنوب غرب البنجاب ، السلطان ناصر الدين قباچه ،
(٦٠٢ - ٦٢٥ هـ / ١٢٠٥ - ١٢٢٨ م)^١، وجد الرعاية من خلال وزيره عين الملك
حسين الأشعري^٢، الذى أكرم وفادة الكوفى وقربه منه ، مما جعل الأخير يهدى إليه
كتابه فيما بعد^٣.

ونحن نعلم أنه كان يعيش فى نفس بلاط هذا الحاكم اثنان من مشاهير أدباء
هذا العصر وهما: العوفى^٤ صاحب كتاب لباب الألباب^٥، والذى أهداه أيضاً لنفس

(١) كان قباچه قائداً تركياً ، ونائباً للسلطان شمس الدين التمش (٦٠٧ - ٦٣٣ هـ / ١٢١٠ -
١٢٣٥ م) على السند ، خلال فترة حكم سلاطين المماليك للهند (٦٠٢ - ٦٨٦ هـ / ١٢٠٦ -
١٢٨٧ م) ، ثم قام بالاستقلال بها عن حكم المماليك ، قبل أن يتمكن سلاطين هذه الأسرة من
استرداد السند منه ، مما جعله يلقي بنفسه فى نهر السند ويلقى مصرعه. لمزيد عنه انظر:
الجوزجاني ، طبقات ناصري ، كابل ١٣٤٢ ش ، ص ١٧٠ ؛ فخر الدين الحسيني ، نزهة
الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج ١ ، الدكن ١٩٦٢ ، ص ٤٠٥.

(٢) وكان يلقب بملك الوزراء ، ولمزيد عنه انظر: العوفى ، كتاب لباب الألباب ، ج ٢ ، ليدن
١٩٠٣ ، ص ١.

(٣) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٣٣.

(٤) هو سديد الدين محمد بن محمد عوفى البخاري. للمزيد عنه انظر: إدوارد براون ، تاريخ
الأدب فى إيران ، ج ١ ، ت. أحمد كمال الدين حلمي ، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص ١٠٦.

(٥) العوفى ، المصدر السابق.

الوزير عام ٦٣٥هـ / ١٢٢٨م ، وكذلك الجوزجاني (١١٩٣-١٢٦٥)^١، صاحب كتاب طبقات ناصري ، لكن الاثنان كانا يرتبطان رسمياً بالبلاط على العكس من الكوفي، الذي لم يكن يرتبط رسمياً به^٢.

وعندما بلغ الكوفي الثامنة والخمسين من عمره قرر التفرغ من أعباء الحياة ، ومحاولة القيام بعمل يكون ذا قيمة ، وقد بهرته الأعمال التاريخية التي كُتبت لتسجيل الفتوحات الإسلامية في أنحاء العالم ، ولما كان أساس استقراره وقتها في السند ، فقد هداه تفكيره لمحاولة تأليف عمل تاريخي يسجل بداية تاريخ فتوحات المسلمين لهذه المنطقة ، والتي ارتبطت بحملة محمد بن القاسم على السند ، والتي نجحت في فتح السند ونشر الإسلام بها ، وكانت أساس الوجود الإسلامي في الهند بعدها. وعندما علم بوجود بعض من سلالة هذا الفاتح الذين ينتمون لقبيلة ثقيف^٣ في مدينة الرور ، قرر التوجه الى هناك عله يجد لديهم ما يعينه على القيام

(١) هو: أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الجوزجاني ، منهاج الدين بن سراج الدين الدهلوي صاحب " طبقات ناصري " ، وكان عالماً بارعاً في الفقه و الأصول والسير والتاريخ والشعر، وفيه من حسن الخلق والتواضع وكرم السجاياء ومعرفة حقائق القضايا ما هو غاية ونهاية. راجع : الحسيني ، نزهة الخواطر ، ج ١ ، ص ٣٠٩.

(2) Ahmed, The long Thirteenth Century, p.464.

(٣) هم بني قَسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس عيلان بن مضر.

ولمزيد عنهم انظر: ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ج ١ ، ص ٤٦٨.

بمشروعه ، وهناك التقى بقاضى المدينة ، ويدعى اسماعيل بن على بن محمد بنى موسى الثقفى ، الذى أخبره بوجود كتاب باللغة العربية عن تاريخ هذا الفتح ، سجلته هذا الأسرة وهو محفوظ لديهم^١.

وقد قرر الكوفى نشر هذا الكتاب ؛ عن طريق ترجمته إلى اللغة الفارسية ، التى كانت هى اللغة السائدة فى السند فى عصره ، حتى يكون متاحاً لكل الناس ممن لا يعرفون العربية. وقد أقر الكوفى أنه قام بذلك ؛ رداً لجميل الوزير عين الملك الأشعرى ، على اعتبار أن من قام بهذا الفتح هم العرب ، الذين تعود إليهم جذور أسرة الوزير ، حيث كان جده واحداً من أهم قادة الفتوحات الإسلامية ، الذين كان لهم السبق فى التفكير فى فتح السند ، وهو أبو موسى الأشعرى^٢.

وقد أعطى الكوفى لكتابه عدة أسماء ، فقد ذكر فى فاتحة الكتاب أن اسمه (تاريخ الهند ومقرر فتح السند)^٣، كما أشار إلى أن الأصل العربى الذى يقوم بترجمته اسمه (فتحنامه)^٤، ثم عاد وذكر فى نهاية كتابه أنه سمى الكتاب (منهاج الدين

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣.

والملك الحضرة الصدر الأجل عين الملك) تكريماً للوزير عين الملك^١. وقد اشتهر الكتاب بعد ذلك بعدة أسماء مثل (منهاج المسالك) و(چچ نامه)^٢. وقد يبدو غريباً أن يشتهر الكتاب بالاسم الأخير ، وهو كما يبدو مرتبط بالملك چچ الذى تحتل حكايته مقدمة الكتاب فقط ، ومن ثم لم يكن من المنطقى أن يشتهر الكتاب بهذا الاسم فقط رغم انه لا يشغل حيزاً كبيراً من الكتاب^٣. والنص الذى تقوم عليه الدراسة يستند على النسخة التى اختار محققها (نبي بلوش) أن يعطيها مسمى فتحنامه ، على أساس انه اسم العمل الأصيل الذى ترجمه الكوفى.

ومن الصعب علينا معرفة من هو صاحب النص العربى الذى ترجمه الكوفى ، لأن الأخير لم يشر إليه صراحة ، بل اكتفى بذكر اسمه الكتاب فقط ، وهو (فتحنامه)، واكتفى بالإشارة فقط إلى أن مؤلفه هو من أجداد القاضى إسماعيل الثقفى ، الذى قابله فى مدينة الرور وذكر له ذلك. ولكن يمكننا أن نلاحظ فى الكتاب فى الحديث عن فتح مدينة الرور على يد محمد بن القاسم ، أنه قام بتعيين قاضٍ عليها اسمه (موسى بن يعقوب بن طائى بن محمد بن شيبان الثقفى)^٤، وبقليل من التدقيق فى

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٢٢٢.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ت. أحمد عبد القادر الشاذلى ، ج ٣ ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٣٢٣.

(3) Mirza Kalichbeg Fredunbeg, The Chachnamah - An Ancient History of Sind, Maryland 2004, p.176.

(٤) الكوفى ، المصدر السابق ، ص ٢١١-٢١٢.

نسب هذا القاضي ، ونسب القاضي الذي قابله الكوفي ومنحه العمل العربي الأصلي سنكتشف ببساطة أن القاضي الأول هو أحد أجداد القاضي الأخير ، وكان معاصراً لوقائع الفتح وأحداثه مما قد يشير إلى احتمالية أن يكون هو مؤلف العمل العربي الأصلي أو على الأقل ساهم في إخراجه إلى النور.

والواقع أن عدم حرص الكوفي على ذكر اسم صاحب المؤلف الأصلي أو معلومات عنه ؛ تدفعنا لأن نقول إنه لم يترجم العمل العربي حرفياً إلى الفارسية ، بل كان جزءاً من كتاب الكوفي ليس إلا ، يؤكد ذلك أنه نسب الكتاب لنفسه في بداية مؤلفه^١. والكتاب كما سوف نراه عند تحليلنا لمنهجه به اضافات كثيرة على النص الأصلي سواء في المعلومات التاريخية ، أو في أسلوب الكوفي نفسه ، بما يوحي أن الكوفي أراد أن ينسب الكتاب له بأكمله ، لا أن يكون مجرد مترجم للكتاب ، خاصة أنه - كما وضح في مقدمة كتابه - كان يطمح لأن يسجل نفسه ضمن أصحاب المؤلفات التاريخية العظيمة ، التي سجلت الفتوحات الإسلامية ، وعليه فقد حرص أن يضيف أسلوبه ، وكثير من الإضافات الأخرى التي تساعده في هذا الاتجاه.

وترجع أهمية كتاب فتحنامه إلى أنه يحتوي على الرواية الأكثر تفصيلاً عن الفتح العربي للسند والتي لا تتوفر لأي عمل تاريخي معروف آخر ، حيث يشتمل

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٣٠.

بشكل رئيسى على الروايات المستمدة من أعمال المؤرخ المدائنى المفقودة ، ورغم أن هناك من اعتمد على هذه الروايات أيضاً مثل البلاذرى ، إلا أنه اختصرها للحد الأدنى من المعلومات الجوهرية ، أما فى هذا الكتاب فقد تم الحفاظ على أكثر الروايات تفصيلاً فى وصف حملة محمد بن القاسم عموماً ، وعلى روايات شهود العيان فى المعارك المختلفة خصوصاً ، ووفقاً لذلك أصبح هذا الكتاب مستودعاً لأهم سجل تاريخى فى مجال التاريخ الإسلامى فى السند^١.

وقد اعتمد على هذا الكتاب ونقل عنه ، العديد من المؤرخين اللاحقين مثل: الهروى صاحب كتاب طبقات أكبرى (١٠٠٢هـ/١٥٩٣-١٥٩٤م) ، فخلال حديثه عن طبقات سلاطين السند نجده يقول : " ورد فى تاريخ منهاج المسالك المشهور بججن امه أنه عندما وصلت نوبة الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أرسل الحجاج بن يوسف محمد بن هارون إلى الهندوستان فدخل ولاية مكران فى أوائل سنة ٨٦هـ ، وشرع فى تحصيل أموال الديوان^٢. كذلك اعتمد عليه فرشته فى كتابه تاريخ فرشته (١٠١٥هـ/١٦٠٦-١٦٠٧م)^٣ ، وغيرهم من المؤرخين.

(١) بلوش ، فتحنامه ، المقدمة ، ص ٢٢.

(٢) الهروى ، طبقات أكبرى ، ج ٣ ، ص ٣٢٣.

(٣) فرشته ، تاريخ فرشته ، بومباى ١٩٠٠.

ثانياً: مصادره:

عند الإشارة للمصادر التي اعتمد عليها الكوفي في كتابه فتحنامه ، نجد أن الجزء الأول من الكتاب - والذي يتناول الأحداث التي سبقت حملة ابن القاسم - مختلف عن باقى أجزاء الكتاب الأخرى ، حيث يُروى بلا أى اسناد ، حتى وإن كان غير مباشر ، على العكس من باقى الكتاب ، الذي تنوعت مصادر الاسناد فيه ، مما يدل على أن الجزء الاول منقول من كتاب مختلف عن باقى أجزاء الكتاب. وكما سبق وأن ذكر الباحث ، فهو إضافة من الكوفي على النص الأصلي ، نقله - على الأرجح - من كتب تاريخ محلية ، وبعض القصص الشعبية وغيرها من المصادر التي سوف نذكرها لاحقاً.

أما الجزء الخاص بحملة محمد بن القاسم ، وهو صلب النص الأصلي ، فقد اعتمد فيه المؤلف - بشكل كبير - على الأعمال التاريخية المكتوبة ، بجانب مصادر أخرى ، وكان فى بعض الأحيان يذكر اسم المؤرخين الذين اعتمد عليهم فى روايته ، وفى أحيان أخرى يكتفى بإشارة عامة مثل: (يذكر المؤرخون)^١، أو (يذكر رواة الأخبار)^٢. ومن المؤرخين الذين اعتمد عليهم المؤلف بشكل كبير ، وذكر أنه رجع

(١) انظر على سبيل المثال: ص ١٠٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: ص ٨٣.

إليه ، المدائني (ت. ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)^١، الذي رجع إليه في (٢٣) رواية مما ذكرهم في كتابه ، حتى أن بعض الباحثين اعتبر أن فتحنامه ليس سوى عمل من أعمال المدائني^٢. ونحن نعرف أن المدائني كان مؤرخاً لا منازع له في تاريخ الفتوحات الأولى من عهد الخلافة في المنطقة الشرقية منها ، والتي ألف عنها ما لا يقل عن ١١ كتاباً ، منها ثلاثة كتب عن الأقل عن فتح الهند وثغورها مثل : كتاب فتح مكران ، كتاب ثغر الهند ، كتاب عمال الهند^(٢). لكن ذلك لا يعني أن فتحنامه في أصله هو من أعمال المدائني ، فقد حرص مؤلف العمل على الإشارة للمواضع التي اعتمد فيها على المدائني ، كما أن الجزء الأول من الكتاب ، والذي يعالج الفترة التي سبقت وصول حملة ابن القاسم للهند ، يبدو في طبيعته مختلفاً تماماً عن الكتابات التاريخية الإسلامية عامة ، وعن ما نُقل عن المدائني في المصادر الأخرى خاصة.

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ، ولد بالبصرة عام ١٣٢هـ/ وعاش بها ، وضع عديد من الكتب في شتى الموضوعات التاريخية ، ووصف بأنه كان علماً في معرفة السير والمغازي ، والأنساب ، وأيام العرب. ولمزيد عنه انظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ٢٠٠١ ، ص ٥٥.

(٢) انظر على سبيل المثال:

Baloch, N., " Fatehnama and its Sources ", *Proceeding of Pakistan Historical Conference*, (1955), pp.79 – 82; Jehangir, J., *The Arabs in Sind* , 712-1026 A.D., Ph.D, diss., (University of Utah) 1973, p.9.

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٤٤ – ١٥٠ .

ومن المؤرخين الآخرين الذين اعتمد عليهم كتاب فتحنامه ، الهذلي (ت. ١٦٧هـ/ ٨٧٣م)^١، وقد نقل عنه (٣) مرات ، إما بشكل مباشر^٢، أو نقلاً عن آخرين خاصة المدائني^٣.

ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها ، يسار القرشي^٤، وهو ليس مؤرخاً وإنما فقيه محدث ، ورجع إليه مرة واحدة ، ربما لأنه جاء بالرواية أمر يتعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديثه عن أحد محاولات فتح السند قبل العصر الأموي^٥.

(١) واسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، كان فقيهاً ، ومن أئمة الرواة البصريين ، وكان مرجعاً في فتوحات المشرق ، وكان المدائني من تلاميذه. راجع: ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ج ١ ، ص ١٩٨.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٨ ، ٩٠.

(٤) هو أبو بكر بن إسحاق بن يسار القرشي المطلبي المدني ، فقيه محدث ، ولمزيد عنه انظر:

الحافظ المزي ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج ٣٣ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت

١٩٨٣ ، ص ٨٢-٨٥.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩١.

ومن المصادر التي اعتمد عليها كتاب فتحنامه بعض المصادر الهندية ، ولكن في نطاق محدود ، وكانت غالباً تتعلق بما يحدث داخل صفوف الجيش الهندي. وقد رجع إليها عدة مرات ، وكان أحياناً يذكر اسم من نقل عنه صراحة ، وكانت مرة واحدة حين ذكر أن من نقل عنه يدعى (رام سيه)^١ ، وفي أحياناً أخرى كان يكتفى بإشارة عامة لمن ينقل عنه مثل قوله: (حكماء الهند ومؤرخوها)^٢ ، (مشايخ البراهمة)^٣.

ومن مصادره الأخرى شهود العيان ، حيث اعتمد على عدد من الشهادات الشفوية المتناقلة عن راو ثان ، أو ثالث ، أو رابع ، من أولئك الذين شهدوا بعض الأحداث التي يؤرخ لها. وكان أغلبهم من العرب المصاحبين لحملة محمد بن القاسم^٤ غير أنه في بعض الأحيان كان يعتمد على شهود عيان من الهنود^٥.

ومن المصادر الأخرى التي اعتمد عليها كتاب فتحنامه ، مجموعة المراسلات بين الحجاج بين يوسف الثقفي وقائده محمد بن القاسم ، فقد كان الحجاج حريصاً على أن يكون على اتصال دائم بالحملة عن طريق البريد ، وحرص على أن يكون

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٦٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨١.

(٤) انظر على سبيل المثال: ص ١٣٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧.

(٥) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢١٢.

منتظماً ، حتى أن الرسالة كانت تصل بين الطرفين في ثلاثة أيام فقط^١. وقد وردت تلك المراسلات عند الكوفي بشكل دقيق ، يوحى بأن كاتب النص الأصلي أطلع على أصول هذه المكاتبات ، والتي كانت بحوزة محمد بن القاسم ، ثم انتقلت للقاضي (موسى بن يعقوب الثقفي) ، الذي عينه ابن القاسم قاض على مدينة الرور. وترجع أهمية هذه الرسائل ؛ إلى أنها تمثل سجلاً حياً للعلاقة بين السلطة المركزية في ولايات الفتح ، والحملات المنطلقة من تلك الولايات خلال العصر الأموي ، كما تعد تسجيلاً نادراً لوقائع حملة محمد بن القاسم على الهند ، ودور الحجاج الحيوى فيها. ويبلغ عدد هذه الرسائل (١٤) رسالة متبادلة بين الطرفين ، ويبدو أنها لم تكن كل الرسائل التي تبادلها الطرفان ، فمن خلال سياق بعض الرسائل نجد أن بعضها كان جواباً لرسالة سابقة لم ترد في كتاب فتحنامه ، ربما لضياح أصلها ، أو ربما حذفها الكوفي. وسوف يكتفى الباحث هنا بثلاث نماذج من هذه الرسائل.

ومن هذه الرسائل ، الرسالة التي بعث بها الحجاج لابن القاسم بعد أن فتح ميناء ديبيل ، وجاء فيها:

لتعلم أن كل جهدنا وهمتنا وإنفاقنا هو أن نوصلك إلى النصر والظفر ، لتكون منصوراً مظفراً ، وسوف ينال الأعداء عقابهم العاجل وعذابهم الآجل بعون الله تعالى. يجب أن تكون واثقاً بأن كل تلك الأفيال والغنائم والمتاع والمال ستكون لك يوماً ما ،

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٤.

لذا عليك أن تعيش حياة حسنة مع أصحابك ، وتسعى لاحترام كل واحد منهم وتقوى
 قلوبهم بأن تلك الولاية ستكون ملكك ، وعليك أن توزع جميع الأموال والغنائم التي
 تحصل عليها في سبيل الهيبة ، وتصرفها على الجيش ، ولا تمنع ما يجب بذله في
 سبيل المأكل والمشرب ، واسع بكل جهدك لتأمين اليسر والحاجات ، وأن تضع جميع
 ما في الديبل في خدمة جيشك ، والأهم من ذلك أن تنفق ما وجدته في حصن الديبل
 من الذخائر في سبيل ترفيه الرعية واستمالة قلوب السكان ، وإذا أصبح الصنع
 والزراع والتجار مرتاحين ومرفهين ، فإن الولاية ستكون مزروعة ومعمورة إن شاء الله
 تعالى^١.

وكما يبدو هنا ؛ تحمل رسالة الحجاج لقائده الشاب بعض النصائح الخاصة
 بالغنائم التي حازها بعد فتح المدينة ، وترسم له أوجه إنفاقها ، وتوصيه بحسن
 التعامل مع جنده. وتفصح تلك الرسالة عن عقلية الحجاج العملية ، وخبرته الواسعة
 وحسن تقديره للأمور ، وكذلك حرصه على متابعة أمور الحملة الإسلامية ، إذ تظهر
 الرسالة معرفته بفتح ديبل وما غنمه المسلمون هناك.

والرسالة الثانية تحمل رد ابن القاسم على الحجاج ، ومما جاء فيها:

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١١٦ .

... ولما وصلت رسالة الأمير الحجاج التي نكر فيها ضرورة الرجوع إلى نيرون رجعنا فعلاً إلى حصن نيرون ، وهذا الحصن أقرب إلى دار الخلافة ، ومن المنتظر بعون الله تعالى ورعاية الخلافة ، وبحسن طالع الأمير المعظم ، فإن الحصون الحصينة سيتم فتحها إن شاء الله ، وسيتم ضبط المدن والخزائن والسيطرة عليها بإذن الله. كما أنه تم في الوقت الحاضر استسلام سيوستان وسيويس وفر ابن عم داهر وأعيانها ، واسلم جميع الكفار والمعاندين وأقيمت المساجد مكان معابد الأصنام والكفر ، وبنيت المنابر لإلقاء الخطب وإقامة الأذان والصلاة في مواقيتها ، وحتى يذكر فيها اسم الله عز وجل مع التكبير والتذكير كما نص عليه القرآن المجيد ، وتم إزالة آثار تلك الأوثان والأصنام بعون الله ونصرته وثقته في قوله تعالى " إن ينصركم الله فلا غالب لكم " وخذل عبادها وشيطانيتها وأحزابها وذهبوا إلى دار الجحيم وآلوا إلى عذاب شديد وبئس المصير...^١

ويبدو من نص الرسالة أنها لم تكن رداً على الرسالة الأولى ، وإنما رداً على رسالة تالية من الحجاج لم يورد الكوفي نصها ، ويستفتح ابن القاسم الرسالة بأخبار فتوحاته في السند ، وأنه قام ببناء المساجد هناك ، كما يخبر الحجاج أنه استجاب لنصيحته بالتحصن في نيرون ، وأنه يقف على ضفاف نهر السند ، في انتظار أوامره من أجل التحرك من جديد.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٢٥-١٢٦.

وتكمل تلك الرسالة الصورة التي أوضحناها عن الطابع المركزي للحجاج في إدارة تلك الحملة ، ويظهر ذلك في حرص ابن القاسم على تقديم تقرير مفصل للحجاج بتحركاته ، والتزامه الصارم بتعليماته الحربية ، وعدم أقدامه على القيام بخطوة خطيرة مثل عبور نهر السند ، دون أخذ الضوء الأحمر من الحجاج.

والرسالة الثالثة تحمل رداً من الحجاج على ابن القاسم ، ومما جاء فيها:

أما بالنسبة لعبور مهران فلا تجبر أحداً على ذلك ، وقل لهم بالحسنى: إننا قطعنا هذه المسافات من أجل الوصول إلى الأعداء ونشر راية الإسلام ، وعلينا أن نعبّر النهر مهما بذلنا من جهد وتضحيات ، وعلينا أن نقاتل الأعداء على أرض ثابتة رجلاً لرجل وفارس لفارس ، وعلى هذه الطريقة توكل على الله تعالى في قتالك إياهم وتمسك بيدك بالعروة الوثقى حتى ينكشف قضاء الله وقدره من خلف الستر ، ويتم تنفيذ الأمر الرباني. أما إذا خيرك الأعداء بين أن يعبروا هم النهر ، أو تكونوا أنتم العابرون فلا تعطهم الفرصة ، وقل لهم بكل حزم : إننا سنكون نحن العابرون لتلقى في قلوبهم الرعب والخوف وليعلموا أن الإسلام لو لم يكن بتلك القدرة الهائلة والإيمان العميق لما جاء إلى بلادهم يقاتلهم بها وعلى جيشك وأصحابك أن يتوكلوا على الله ، وأن يثبتوا أقدامهم ويشدوا عزمهم في القتال لنيل رضا الله تعالى^١.

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٢٧-١٢٨.

ونرى فى هذه الرسالة الحجاج يستحث ابن القاسم على التحلى بالقوة والشجاعة ، كما يعطيه بعض الشروط التى يجب توافرها فى الرسول الذى سيرسله لمقابلة راجا داهر ، حتى يمكنه أن يكون خير سفير للمسلمين ، ويختم الرسالة ببعض التوجيهات الخاصة بعبور نهر السند ، إذ طلب منه أن يكون البادئ بالعبور حتى يلقى الرعب فى قلوب أعدائه ، وأن يختار المكان المناسب للعبور ، وأن يرسل مشاته أولاً. وتشير تلك الرسالة إلى عبقرية الحجاج السياسية والحربية ، كما تؤكد على أن الدور الذى لعبه خلال حملة ابن القاسم لم يكن دوراً ثانوياً ، بل كان هو المحرك الأول لتفاصيل تلك الحملة ، ولاشك أن مرجع هذا الاهتمام البالغ من الحجاج هو إنجاز مشروعه التوسعى فى المشرق ، بجانب حداثة سن قائده الشاب محمد بن القاسم.

كما كان للتراث الشعبى الهندى نصيبه عند الكوفى ، حيث اعتمد فى بعض الأحيان عليه كمصدر لرواياته ، وكان يطلق عليه (الأحاديث الشعبية) ، وكانت الروايات المستمدة منها فى الغالب تتعلق بالشخصيات الهندية المذكورة فى الكتاب ، ومن ذلك على سبيل المثال: قصة تزعم زوجة داهر (لادي) للمقاومة ضد المسلمين فى حصن برهمناباد^١.

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٨٨.

ثالثاً : منهجه

ظهرت ملامح منهج الكوفي في مقدمة كتابه ، عند اهدائه للوزير عين الملك، حيث أشار إلى أن الكتاب سوف يكون: " متضمناً نصائح الدين والدولة ، ومتكفلاً بمناهج الملك والملة ...".^١ وعلى هذا الأساس ، حرص على أن يتضمن كتابه كثيراً من النصائح والقواعد التي يجب على الحاكم إتباعها ، والكوفي هنا يبدو متأثراً بكتب الآداب السلطانية ؛ مثل: كتاب نصيحة الملوك^٢ ، للماوردي(ت.٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)^٣، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك^٤ ، للغزالي(ت.٥٠٥هـ / ١١١١م)^٥، وغيرها من

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢٢٣.

(٢) الماوردي ، نصيحة الملوك ، تحقيق: خضر محمد خضر ، الكويت ١٩٨٣.

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ولد في البصرة سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م ، في أسرة عربية عرفت ببيع ماء الرورد ، ومنها عرف بالماوردي. انظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٥ ، ص ٥٢.

(٤) الغزالي ، التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، بيروت ١٩٨٨.

(٥) هو زين الدين حامد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ / ١٠٨٥، وهو أحد مجدي القرن الخامس الهجري، وأحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر علماء الدين السنة في التاريخ الإسلامي. انظر: ابن أبيك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٠، ص ٢٧٤-٢٧٧ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠-١٣.

الأدبيات التاريخية. وتقوم أغلب تلك الكتابات في أساسها على مبدأ نصيحة أولي الأمر في تسيير شؤون سلطتهم، إذ تتضمن كل موادها مجموعة هائلة من النصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على الحاكم إتباعها.

وظهر ذلك على سبيل المثال ، فى الرسالة التى أرسلها الحجاج إلى محمد بن القاسم ، حيث يقول فيها: " واعلم أن الرئاسة تحتاج إلى أربع أمور ، الأول: الإدارة والمسامحة والمواساة ، والثانى: بذل المال والعطاء ، والثالث: الرأى الصواب فى معارضة الخصوم ، ومعرفة مزاج الأعداء ، والرابع: الرعب والمهابة والشهامة والقوة والشوكة ، وبهذه المزايا يمكنك الهيمنة على قلوب الأحاب والأعداء ، وإذا طلب الملوك منك سماحاً فأعطهم ذلك مع كتابة المواثيق المطلوبة .

وإذا أردت أن تبعث أحداً برسالة فلا بد أن يكون ذا عقل ودين وكياسة ، وأمانة وثقة حتى لا يلحق بالإسلام ضرر من كلامه و تصرفاته ، وعيك أن تحمى الأنصار والأصحاب من غوائل الحيلة والغدر والمكر الذى يمارسه الأعداء ، كما عليك الالتزام بشرائط الحزم واليقظة فى تدبير الإمدادات ، وأن تحترز من داهر كثيراً.

وإذا أرسلت أحد اتباعك ، فانصحه أن لا يخالطه وأن لا يأتى مجلسه ، وانصحه مراراً وتكراراً ، وألزمه أن لا يقرأ الرسالة بمفرده مع داهر ، بل يجب أن يكون

ذلك فى حضور الأعيان والأشراف وعلية القوم ، وعليه أن يستمع إلى جوابه بكل دقة وصفاء ذهن ، وان لا يرغب فى شىء أو يداهن أحداً^١.

ويبدو هنا بوضوح ، أن الكوفي أقحم الكثير من النصائح التى أراد أن يتضمنها كتابه فى هذه الرسالة ، وهو نمط كرره كثيراً ، حيث يقحم مثل هذه النصائح ، والقواعد السلوكية فى سياق الأحداث ، حتى تحقق الغرض الذى أراده منها.

أما عن أسلوب الكوفي ، فكما ذكر الباحث ، فإنه لم يكن ينتهج أسلوباً واحداً فيما يخص إسناده لروايته التاريخية ، فعلى حين يكاد الجزء الأول من كتابه - والذي يسرد الفترة السابقة لحملة محمد بن القاسم - يكاد يفتقد للإسناد التاريخي ، ويعتمد على رواية واحدة متصلة نقلاً عن مصدر مجهول لم يصرح به ، وهو على الأغلب مصدر محلي قديم. نرى الجزء الثاني منه يحفل بالإسناد لأغلب رواياته ، حيث يحرص الكوفي على ذكر مصادره ، سواء كانت مصادر تاريخية ، أو روايات شفوية ، أو مصادر أخرى ، وربما ساعده فى ذلك أنها وردت فى المصدر العربي الأصلي الذى تعهد بترجمته للفرسية ، كما ذكر فى مقدمة كتابه.

ورغم حرصه على ذكر العديد من الروايات التاريخية ، إلا أنه يوردها دون أن يبدى رأيه فيها أو ينقدها - باستثناء حالة واحدة ، حين كان يروى قصة أسر السفن

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١٢٥.

الإسلامية التي أرسلها حاكم سيلان للحجاج ، حيث أبدى تشككه فيها ، حين بدأ الرواية بقوله: يقال^١ - برغم أنها في بعض الأحيان تتعارض مع الروايات التي أوردتها مصادر أخرى خاصة ببعض الأحداث ، كما أنها تحفل ببعض الأخطاء التاريخية ، ولعل ذلك مرجعه إلى أن الكوفي لم يكن مؤرخاً بقدر ما كان أديباً ، فأفسح المجال في كتابه للأدب والصناعة الأدبية على حساب الدقة التاريخية.

كما غلب على أسلوب الكوفي في كثير من الأحيان الجانب القصصي ، حيث أورد الكثير من القصص والحكايات في ثنايا كتابه ، مثل قصة (چچ وسينينهو) ، وقصة (جنكى وجيسيه). ويبدو هنا أنه كان متأثراً في نمطه القصصي بالترجمة الفارسية لقصص كليله ودمنة لابن المقفع ، وهو كتاب هندي الأصل يتناول حكايات فلسفية وأخلاقية ، ويهدف إلى النصح الخلقي والإصلاح الاجتماعي والتوجيه السياسي ، حيث كانت الهند الوطن الذي ازدهرت فيه قصص الموعظة على لسان الحيوان ، حيث انتشر القصص الحيوانى الوعظى في تعاليم بوذا وغيره ، وكان الهدف من هذه الحكايات تعليم الأمراء وتأديبهم^٢. وكان الفرس هم أول من ترجموه للفارسية، ثم تولى عبد الله بن المقفع نقله للعربية خلال العصر العباسي^٣.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٩٦.

(٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، ص ٩٨

(٣) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤١٣

وقد غلبت النزعة الأدبية على كثير من مواضع الكتاب ، ربما بحكم كون المؤلف أديب أكثر منه مؤرخاً. وظهر ذلك فى كثرة استشهاده بالأبيات الشعرية ، سواء من نظمه ، أو من أشعار الآخرين. ومن ذلك ما أورده من أبيات شعرية تتعلق بمصير والي مكران من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث قال:

سقى الله قبراً من سعيد تضمنت نواحيه أكفاناً عليك ثيابها
وحفرة بيت أنت فيها موسد وقد سد من دون العوائد بابها
لقد ضمنت أرض بمكران سيدياً كريماً اذا الأنواء خف صاحبها^١

وهى أبيات شهيرة للفرزدق (ت. ١١٠/٧٢٨م)^٢، أوردها فى ديوانه^٣، مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة. كما ذكر المؤلف بيتين للشاعر حكيم بن جبلة العبدي^٤ فى مدح علي بن أبي طالب حينما قدم الى البصرة فقال:

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٩٨.

(٢) هو شاعر من شعراء العصر الأموي ، واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي ، وكنيته ابو فراس ، وسمي الفرزدق لضخامة وتجهم وجهه ، ومعناها الرغيف. ولمزيد عنه انظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٥٩٠.

(٣) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت (ب.ت) ، ج ١ ، ص ٨٩.

(٤) هو حكيم بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب العبدي من بني عبد القيس ، أحد صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسلم على يديه ، ثم هاجر إلى البصرة مع قومه فى عهد عمر بن الخطاب. لمزيد عنه انظر: ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٤٠.

ليس الرزية بالدينار تفقده ان الرزية فقد العلم والحكم

وإن أشرف من أودى الزمان به أهل العفاف وأهل الجود والكرم^١

وقد انفرد الكوفي بذكر هذين البيتين ، فلما يردا على لسان حكيم فى أى مصدر آخر ، والذكر الوحيد لهما ورد عند الجاحظ ، ولكن بشكل مختلف ، وعلى لسان أم جبلة نفسه ، حين قتل هو وأخيه (رعل) ، حيث قالت:

ليس الرزية بالتنبال تفقده بل الرزية مثل الرعل والحكم^٢

وقد بدا تأثر الكوفي بثقافته الإسلامية فى كثير من المواضع فى كتابه ، حيث كان يورد أحياناً بعض الروايات التى تشابه فى بعض تفاصيلها بعض قصص الأنبياء ، أو أبطال الفتح الإسلامى ، بل وأحياناً يستخدم بعض الألفاظ الإسلامية فى بعض المواضع التى لا تستقيم فيها هذه الألفاظ. ومن ذلك عند حديثه عن عبور محمد بن القاسم نهر مهران ، حيث يذكر أن المنادى نادى فى جيشه: (أيها المقاتلون المسلمون إن مياه نهر مهران من خلفكم ، والأعداء من أمامكم ، ومن ضعف قلبه وخوت عزيمته فالطريق مفتوحة أمامه للرجوع ...)^٣.

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٨٥.

(٢) الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ج ٥ ، تحقيق: عبد السلام هارون ،

دار الجيل ، بيروت (ب.ت) ، ص ٤٦.

(٣) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٥٢.

ويبدو هنا بوضوح تأثر المؤلف بقصة الفاتح الإسلامي الكبير طارق بن زياد ،
الذي عبر من بلاد المغرب المضيق - الذي حمل اسمه بعد ذلك - نحو الأندلس ، ثم
وقف في جيشه على ساحل البحر ، وخطب فيهم خطبته المشهورة التي قال فيها: "
أيها الناس. أين المفر؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا
الصدق والصبر...".^١

كما ظهر تأثره بالقصص الديني في موضعين ، الأول: عند حديثه عما فعله
محمد بن القاسم حين فتح مدينة الرور ، حيث ذكر أنه حين دخل معبد المدينة ، رأى
صنماً من الذهب الخالص ، على شكل حصان مكللاً بالجواهر وفي يده سوار من
الزمرد ، فأخذ ابن القاسم ما في يد الصنم ، ثم دعا كاهن المعبد وسأله هل هذا
معبودك ؟ فأجابه: نعم ، فقال له: ألا ترى شيئاً ينقصه ؟ فقال: نعم فإن إحدى يديه
خاليه ، فقال ابن القاسم للكاهن: وأين سواره ؟ فأطرق الكاهن برأسه الى الأرض ،
فضحك محمد بن القاسم ثم قال له : إنه لا يعلم شيئاً ، إنه حجر أصم ...^٢.

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة انظر: المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،

ج ١ ، بيروت (ب.ت) ، ص ٢٢٥.

(٢) الكوفى ، فتحنامه ، ص ٢٠٤-٢٠٥.

ويبدو هنا تأثر الكتاب بقصة النبي إبراهيم عليه السلام في مجادلته مع قومه بشأن الأصنام التي كانوا يعبدونها ، ثم تحطيمها ، ثم دعوته لهم ليسألوا التماثيل عن حطمها ، مما جعلهم يعجزون عن الرد عليه^١.

أما الموضوع الثاني الذي وضح فيه التأثير بالقصص الديني ، عندما ذكر الكوفي قصة جيسيه بن الملك داهر مع جنكي أخت أحد الملوك الهنود ، حينما حل جيسيه ضيفاً على أخيها الملك ، وأعجبت به ، حيث كان شاباً وسيماً ممشوقاً ووجهه مليحاً ، وذو سيرة كريمة ، بالإضافة الى كونه ابن ملوك ، ووقع حبه في قلبها ، فراودته عن نفسه فاستعصم ، فادعت عليه زوراً وبهتاناً أنه راودها عن نفسها، وكاد الملك أن يقتل جيسيه ، إلا أن الأخير كشف نوايا الملك وغادر قصره^٢.

(١) ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: (فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

{٥٨} قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٥٩} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

إِبْرَاهِيمُ {٦٠} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {٦١} قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ {٦٣}). وراجع

أيضاً: ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق: عبد الحي الفرماوي ، القاهرة ١٩٩٧ ،

ص ١٨٣-١٨٦.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢٠٦.

ويبدو تأثره هنا بقصة النبي يوسف مع زليخة زوجة عزيز مصر التي وردت بالقرآن الكريم ، والتي تحكى كيف افتتنت زليخة بيوسف وراودته عن نفسه ، لكنه رفض غوايتها^١.

والأمر نفسه ينسحب على استخدامه أحياناً بعض الآيات القرآنية بصورة مقحمة على الأحداث ، فخلال روايته عن حصار محمد بن القاسم لمدينة الرور ، ذكر أنه أرسل إليهم (لادي) أرملة الملك داهر لتقنعهم بالاستسلام للمسلمين ، فذكر أنها قالت لهم: أنا لادي زوجة مليكم داهر ، لقد قتل مليكنا ، وأرسلوا برأسه الى العراق مع الرايات والعبيد والأموال فلا تهلكوا أنفسكم بدون طائل ، وقد قال تعالى: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)^٢ ، ثم صاحت وبكت وولولت ...^٣.

ووضع الآية هنا غريب ، فمن المعروف أن أرملة داهر لم تسلم ، وحتى لو أسلمت ، فأنها لن تخاطب قومها وهم على غير ملة الإسلام ، بآيات قرآنية لن

(١) ومن ذلك قوله تعالى فى سورة يوسف: (وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {٢٣}). وراجع

أيضاً: ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الآية رقم ١٩٥ - سورة البقرة.

(٣) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢٠٢.

يفهموها ، ويبدو هنا أن الكوفي قد أضاف هذه الآية من عنده ، لكنها تبدو غريبة في سياق الأحداث.

كما ظهر تأثير ثقافته الإسلامية أيضاً في استخدام بعض الألفاظ الإسلامية في غير موضعها ، فخلال حديثه عن الرسالة التي بعث بها ملك السند داهر إلى محمد بن القاسم ، ذكر أن داهر افتتح الرسالة بعبارة: (بسم الله العظيم ذي الوجدانية)^١، واستخدام البسملة كفاتحة للرسائل تقليد إسلامي خالص ، ويتعارض مع فكر داهر ومعتقداته ، وتبدو هنا بوضوح أنها إضافة من الكوفي.

كما وضح ذلك في قصة جيسيه وجنكى ، فحين أراد جيسيه أن يلفت نظر جنكى إلى خطأ تفكيرها في إقامة علاقة آثمة معه قال لها: يا ابنة الملوك ، نحن ما عدا الحلال والنكاح الشرعي ، لا يمكن أن ننظر إلى عورة الأخريات^٢. وتبدو هنا جملة (الحلال والنكاح الشرعي) غير مستقيمة مع واقع الأحداث ، وثقافة ملك هندی غير مسلم ، فهي عبارة إسلامية خالصة ، وتبدو هنا مقحمة من جانب الكوفي على سياق الأحداث.

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ١١٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧.

كما ظهر فى بعض الأحيان تأثر الكوفي بعصره ، فكان يستخدم فى رواياته فى بعض المصطلحات التى تنتمى لعصره ، وليس العصر الذى وقعت فيه أحداث روايته. ومن ذلك ، اللقب الذى أطلقه على محمد بن القاسم ، وهو (عماد الدولة والدين)^١، وهذه الألقاب لم تظهر فى العصر الأموي ، بل ظهرت فيما بعد خلال العصر العباسي. ما رواه عن استقبال بعض القبائل السندية لمحمد بن القاسم بحفاوة بالغة ، جعلته يقرر مكافأتهم ، فوزع عليهم (عشرين ديناراً مغربياً)^٢. ومن المعروف أن العملات المغربية لم تظهر فى السند إلا فى القرن الرابع الهجري ، وارتبطت بالخلافة الفاطمية، حين نجح الفاطميون فى الاستيلاء على جزء من السند ، وإقامة إمارة لهم هناك ، وضربت فيها العملة على الطراز الفاطمى^٣.

ويعيب الكوفي عدم دقته فى بعض الأحيان ، فهناك العديد من الأخطاء التاريخية الواضحة فى الأحداث التى يرويها ، ومنها على سبيل المثال: أنه ذكر أن خلافة علي بن أبي طالب بدأت سنة ٣٨هـ/٦٥٨م^٤، والصحيح أنها بدأت بعد مقتل

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠.

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٥.

(٤) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٦.

عثمان بن عفان على يد الخوارج سنة ٣٥هـ/٦٥٥م^١. كذلك أشار الكوفي الى أن قيام دولة بني أمية ، وبداية عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م^٢، والصحيح أن معاوية تولى الخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١م^٣.

كما ذكر أن ابن القاسم كان صهراً للحجاج^٤، وهو أمر غير صحيح ، لأن الحجاج لم يكن له بنات ، ولم يكن له سوى أخت واحدة ، وكانت متزوجة من ابن عمها، وابن القاسم نفسه كان متزوجاً من بنى سعد بن تميم^٥. وهو يناقض نفسه بعد ذلك ؛ حين يذكر أن ابن القاسم كان قد طلب مصاهرة الحجاج لكن الحجاج رفض فلما ألح فى طلبه اشترط عليه أن يكون ذلك بعد أن يفتح الهند^٦. أى أنه وفق هذه الرواية - برغم التحفظ على مسألة ابنة الحجاج- لم تتم المصاهرة فى الأساس.

ومن الأخطاء التاريخية الأخرى فى كتابه ؛ ما يتعلق بمصير محمد بن القاسم، فقد ذكر أن نهاية ابن القاسم كانت على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، نتيجة

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٤٢٧.

(٢) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٨٨.

(٣) ابن الأثير ، الكامل ن ج ٣ ، ص ٢٧١.

(٤) الكوفي ، المصدر السابق ، ص ١٠٠.

(٥) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٦) الكوفي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦.

سلوكه المشين مع ابنة داهر^١ ، لكن الثابت تاريخياً أن محمد بن القاسم كان ضحية علاقته بالحجاج الثقفي ، حيث عزله الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان يكره الحجاج ، ثم سقط صريعاً بعد ذلك على يد بعض الموتورين من الحجاج^٢.

وبجانب هذه الأخطاء هناك كثير من الروايات المتناقضة التي يوردها الكوفي ، وتدل على عدم دقته في متابعة وتقييم ما يكتب ، ومن ذلك ؛ الرواية الخاصة بمصير ابنة أخت الملك داهر ، والتي تم إرسالها ضمن مجموعة من الأسرى لبلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقد ذكر الكوفي أن الخليفة وهبها لأحد الحاضرين في مجلسه ويدعى (كعب) ، فقبلها وتزوجها بعد ذلك^٣. ثم يعود في موضع آخر من الكتاب نفسه فيذكر أن أحد الحاضرين في مجلس الخليفة الوليد ويدعى (علي) ، أعجبت فطلبها من الخليفة فوهبها إياه^٤.

كما ذكر روايتان متناقضتان حول مصير محمد العلافى ، حيث يروي في الأولى أن العلافى بعد أن انفصل عن الملك داهر ؛ ذهب الى إحدى الممالك فى شمال السند ، وبقي هناك حتى مقتل داهر ، ثم أعطاه محمد بن القاسم الأمان بعد

(١) الكوفي ، فتحنامه ، ص ٢١٩ - ٢٢٢

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦١٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٧.

(٣) الكوفي ، المصدر السابق ، ص ١٧٧.

(٤) الكوفي ، المصدر نفسه ، ص ١٨٠.

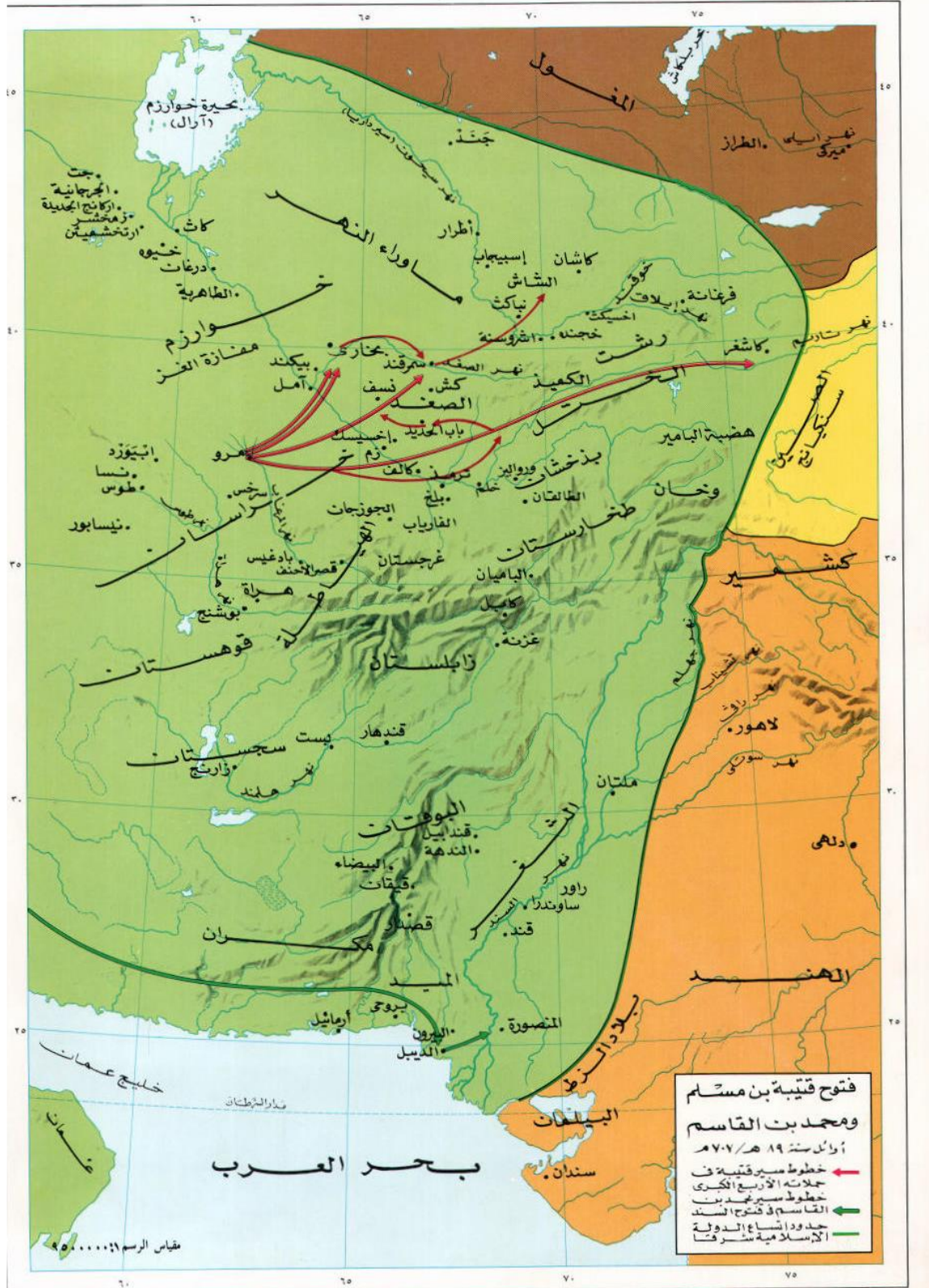
ذلك ، ثم استقر العلافى فى مدينة ملتان حتى توفي هناك^١. لكنه يعود فى موضع آخر فىذكر رواية أخرى عن مصير العلافى ، حيث يذكر أنه ترك محمد بن القاسم واتجه إلى مملكة كشمير ، حيث عاش فى كنف ملكها حتى وافاه الأجل^٢. وكما يبدو هنا ، فإنه لم يحدد بدقة مصير محمد العلافى ، بل أعطانا روايتان مختلفتان حول مصيره الذى لا نعرف عنه الكثير ، خاصة وأن ما ذكره البلاذرى عن محمد العلافى لم يحدد فيه مصيره^٣.

(١) الكوفى ، فتحنامه ، ص ١٥٣.

(٢) الكوفى ، المصدر نفسه ، ص ١٨٥.

(٣) فتوح البلدان ، ص ٦١١.

الخزائن



خريطة توضح بدايات حملة محمد بن القاسم على السند. نقلاً عن: حسين مؤنس ،

أطلس تاريخ الإسلام ، ص ١١٨.



خريطة توضح حركة الفتوحات في المشرق بوجه عام خلال العصر الأموي

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :-

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٨٦ .
- : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق الشيخ علي معوض ، دار
الكتب العلمية ، بيروت.
- : النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الحمزاوي ،
محمود الطناحي ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة ١٩٩٤ .
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ٣ ، تحقيق:
عبد الهادي التازي، الرباط ١٩٩٧ .
- البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ، ٢٠٠١ .
- البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد ، ١٣٥٥ هـ .
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل أو مردولة ، تحقيق:
ساخو ، فرانكفورت، ١٩٩٣
- الجاحظ ، كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، ج ٥ ، تحقيق: عبد
السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت (ب.ت).
- ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، تحقيق محمد الصباح ، بيروت ، ١٩٨٩ .

- الحسيني فخر الدين ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج ١ ، الدكن ١٩٦٢.
- ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ج ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣.
- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، القاهرة (ب.ت)
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ليدن ١٩٣٩.
- ابن خرداذبه ، المسالك والممالك، نشر دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩.
- ابن خياط ، تاريخ بن خياط ، ج ١، تحقيق سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٦٧.
- الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠
- الذهبي ، العبر فى خبر من غير ، ج ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ١٩٦٠
- ----- سير أعلام النبلاء ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة للنشر ، بيروت.
- الزبير بن بكار القرشى ، جمهرة نسب قریش وأخبارها ، ج ٢ ، تحقيق : عباس هانى الجراخ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠.
- الزهرى ، كتاب الجغرافية ، تحقيق: محمد حاج صادق ، القاهرة (ب.ت)

- سليمان التاجر ، أخبار الصين والهند ، نشر جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨.
- السيرافى ، رحلة السيرافى ، بغداد ١٩٥٦ .
- الصفدى ابن آيبك ، الوافى بالوفيات ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة ١٩٧٧.
- ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمد الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- العمري ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، ج ٣ ، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات ، الإمارات ٢٠٠١ .
- الغزالى ، التبر المسبوك فى نصيحة الملوك ، بيروت ١٩٨٨
- الفردق ، ديوان الفردق ، دار صادر ، بيروت (ب.ت)
- القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة ، بيروت، ١٩٧٩.
- ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، دمشق ، ١٩٦١.
- ابن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق عبد الحي الفرماوي ، القاهرة ١٩٩٧
- الكريزى ، زين الأخبار ، تحقيق عفاف زيدان ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- الكوفي ، فتحنامه سند ، تحقيق بلوش ، دمشق ١٩٩١.

- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد ، القاهرة ١٩٦٠ .
- الماوردي ، نصيحة الملوك ، تحقيق: خضر محمد خضر ، الكويت ١٩٨٣ .
- المزني ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج ٣٣ ، تحقيق: بشار عواد ، بيروت ١٩٨٣ .
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٣٤٦
- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، لندن ١٩٠٩ .
- المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ١ ، بيروت (ب.ت) .
- النسائي، كتاب السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان ، سيد حسن ، ج ٣، بيروت ، ١٩٩١ .
- ابن النعيم ، كتاب الفتن ، تحقيق : سهيل زكار ، بيروت ١٩٩٣ .
- الهروي ، طبقات أكبرى ، ج ٣ ، ترجمة أحمد عبد القادر الشاذلي ، القاهرة ١٩٩٥ .
- الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٥ ، القاهرة ١٤٠٧ هـ .
- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ٥ ، بيروت (ب.ت) .
- أبو يوسف ، كتاب الخراج ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ .

ثانياً : المصادر الفارسية:

- الجوزجاني ، طبقات ناصري ، كابل ١٣٤٢ .
- العوفي ، كتاب لباب الألباب ، ج ٢ ، ليدن ١٩٠٣ .
- فرشته ، تاريخ فرشته ، بومباي ١٩٠٠

ثالثاً: المراجع العربية والمعرية :-

- إدوارد براون ، تاريخ الأدب في إيران ، ج ١ ، ت. أحمد كمال الدين حلمي، القاهرة ٢٠٠٥ .
- أكبر، فايزة اسماعيل ، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي ، مجلة العصور ، المجلد الثامن ، ١٩٩٣ .
- البلوشي، إبراهيم ، ميناء ديبيل عند الفتح الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث ، ١٩٩٧ .
- جمال الدين، عبد الله محمد ، التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- حوراني ، جورج ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ت. السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٦٠ .

- خطاب، محمود شيت ، محمد بن القاسم الثقفى فاتح السند، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٨ .
- الساداتى ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، القاهرة ١٩٥٧ .
- سميث ، الأسس الجغرافية والاجتماعية للهند ، مجلة ثقافة الهند ، المجلد السابع ، مارس - يونيو ١٩٥٦ .
- شلبي أحمد، أديان الهند الكبرى، القاهرة ١٩٨١ .
- عبد الحميد رأفت، الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي، الإمبراطورية البيزنطية، ج١، القاهرة، ٢٠٠٠ .
- عبد الرحمن، محمد نصر ، الوجود العربى في الهند في العصور الوسطى ، القاهرة ٢٠١٤ .
- العقيلى، محمد أرشيد ، دور الخليج العربى في الفتوحات الإسلامية ، ندوة مكانة الخليج العربى في التاريخ الإسلامى، جامعة الإمارات ، ١٩٨٨ .
- علي ، سيد رضوان ، تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، مجلة العصور ، المجلد الثانى، الرياض ، ١٩٨٧ .
- الغامدي، سعد محمد ، الفتح الاسلامى لبلاد وادى السند ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت.

- المباركبوري ، العرب والهند في عهد الرسالة ، ت. عبد العزيز عبد الجليل ،
القاهرة ١٩٧٣ .
- ----- العقد الثمين فى فتوح الهند وما ورد فيها من الصحابة والتابعين ،
القاهرة ١٩٨٠ .
- ----- : رجال السند والهند ، القاهرة ١٩٨٨
- ----- : من النارجيل إلى النخيل، مجلة ثقافة الهند ، ١٩٦٥
- محمد، التوم الطالب ، فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية ،
مجلة المؤرخ المصرى ، ١٩٨٩ .
- محمود، حسن أحمد ، الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين
العربى والتركى ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ١٩٨٧ .
- الندوى، عبد الحى الحسنى ، الهند في العهد الإسلامى ، الدكن ١٩٧٢
- الندوي، محمد اسماعيل ، الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ، القاهرة ١٩٧٠ .
- لسترانج ، بلدان الخلافة الإسلامية ، ترجمة بشير فرنسيس ، تحقيق:
كوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ .
- لوبون ، جوستاف ، حضارات الهند ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

- هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج ١ ، ترجمة.

أحمد محمد رضا ، القاهرة ١٩٨٥.

-

رابعاً: المراجع الأجنبية :

- Ahmed, M., " The long Thirteenth Century of the Chachnama ", The Indian Economic and Social History Review, 49, 4 (2012)
- Ayalon (ed.), Studies in memory of Gaston Wiet, (Jerusalem, 1977
- Baloch, N., "The probable date of the First Arab expeditions to India", Islamic Culture, 20 (1946)
- -----" Fatehnama and its Sources ", Proceeding of Pakistan Historical Conference, (1955).
- -----"The probable date of the First Arab expeditions to India", Islamic Culture, 20 (1946).
- Brown, J., " The history of Islam in India ", Muslim World, 39 (1949)
- Friedmann, Y., " A contribution to the early history of Islam in India ", in Myriam Rosen –
- -----, " Minor problems in Al-Balduis account of the conquest of Sind " RSO , 45 (1970)
- -----, " The Temple of Multan, A Not on Early Muslim Attitudes to Idolatry", IOS, 2 (1972)
- Haig, N., " On sites of Bramanabad and Mansura in Sind " , Journal of Royal Asiatic Society, xvi (1886)
- Ishaq, M., "A peep into the First Arab expeditions on India under the companions of the Prophet", Islamic Culture, 19 (1945)

- Jehangir, J., The Arabs in Sind , 712-1026 A.D., Ph.D, diss., (University of Utah) 1973.
- Lanepoole, S., Medieval India under Mohammedan rule,(London , 1971)
- Lari, Z., A history of Sindh, (Oxford, 1994)
- Mahajan, D., Muslim Rule in India, (New Delhi, 1970)
- Majumdar, C., An advanced history of India, (London, 1950
- Mirza Kalichbeg Fredunbeg, The Chachnamah - An Ancient History of Sind, Maryland 2004
- Nadvi, S., "Muslim colonies in India before the Muslim conquest ", Islamic Culture 8 (1934
- -----, "The Early Relation between Arabia and India ", Islamic Culture, 11 (1937)
- Nigam, S., "Religious attitude of Muslim rules in India", Islamic Culture, 56 (1982)
- ----- " Religious Attitudes of Muslim Rulers in India (711 A.D - 1388 A.D)", Islamic Culture, 56(1982)
- Prasad , I., History of Medieval India, (Allahabad ,1952)
- Plata, J., A dictionary of Urdu, classical Hindi and English, (Lahore, 1983)
- Qureshi , The Muslim Community of the Indo-Pakistan Subcontinent , (The Hague, 1962)
- Saddiqi, M., "India as known to the ancient Arabs ", Indo – Asian Culture , 5 (195).
- Spate, O., India and Pakistan, a general and regional geography, (London, 1954)ۛ
- Titus, M., Islam in India and Pakistan, (Calcutta, 1959).